دومينو القصر الملعون

دومينو القصر الملعون / العدد الثالث
سلسلة غموض
أنور هاني
تصميم الغلاف : محمد كامل
تدقيق لغوي : خالد رجب
رقم الإيداع : 20113/19194
I.S.B.N: 978-977-488-412-2

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،
المرج الغربية، القاهرة .
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف : 01144552557 - 01147633268
E – mail :daroktob1@yahoo.com
دار أكتب للنشر والتوزيع : Facebook

الطبعة الأولى ، 2015م

دومينو القصر الملعون

سلسلة غموض

العدد

3

أنور هاني



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء إلى اللعنة

القُصور الملعونة هي أعظم ما يُمكنُك مواجهتُه، أوالوجود به حالة .. حالةٌ فريدة، منفردة، متفرّدة؛ يصبغُها الجمال والجنون، الهوس والغموض.

يُمكنُك وصفها - كما يحلو لي تسميّتُها أو وصفها - بمتلازمة "الشِّعر والصَّمم". كَم تبدو رقيقة، راقية، شامخة؛ تعزِفُ أنشودتَها العذبة لجدران تحبسها وتحتبسُها بداخلها، فتصدَّع سكونَها وتبدِّدُ صمَّها وصمتها الكائن بالإجبار.



Longissimus Dies Cito Conditur



ليست كلُّ القصور هي بقصورٍ فعلية؛ بعضُها لا يغدو كونه منزلًا فاشل الطراز، كائنًا علًى مساحة كبيرة فقط، فاقدًا كل عوامل الجمال والإبداع، بل والرهبة التي يبثُّها 'القصر' في النفس. وإن كان مسكونًا أو ملعونًا، فهو بضآلةِ نملة يمكنُك سحقُها بكل هدوءٍ وبرودٍ، فهو يفتقر

إلى الإبداع في رعبه، ويسهل السيطرةُ عليه كإبادة حشرات في عُشةٍ!

البيوت المسكونة؟ هل تمزح؟! مهما تكن قُوَّتُها، فهي لا شيء يا عزيزي. يمكنُك اعتبارُها تمرينًا لذيذًا؛ سَدَّ فراغٍ – للدقة التعبيرية –.

● ● ● ●

هكذا ظَلَّ يتحدَّثُ 'كامل البستوني' إلى صديق عُمرِه وهما جالسان في منزل الأخير يحتسيان الشراب على المشرب الصغير بغرفة المعيشة لديه، وما إن فرغ من كأسه السادس – على التوالي – حتى انتفض من على كرسيه كالملسوع، قاصدًا حقيبته يُنقِّبُ بها.

فجأة صاح كطفلٍ صغير فاجأهُ والدُه بالحلوى "ها هي يا صديقي .. وجدتها "، ثم تقدّم إلى مجلسه مرةً أخرى بجانب صديقِه – الذي لم يبرح مجلسه – وألقاها في حركةٍ تمثيليةٍ مُباغتةٍ على المشرب وسطهما بالضبط.

رزمة ضخمة من الأوراق المُتراصَّة بتناسُق مُخيف، لم يرهبْها إلقاؤها بتلك الطريقة. وقعتْ كما هي بلا أي ردة فعلٍ، ثابتة. وقعت عينا صديقه أولَ ما وقعت، على هذا المشَبك قُوطي الطراز فرعوني الأصل، لا يعرف

كيف يكون له ذلك الشكل وتلك الهيئة التي تُبعدُه مئات الأعوام عن عصره، لكن طابعه يكشف أصله وأصالتَه التي تعدّت كل الأزمنة؛ ذلك الذي رغم تمسكه بأقصى طرف الأوراق الأيمن، فإنه يحكم قبضته وسيطرته على الجمع.

زاغت عيناه عن 'الحاكم' وثبتتا أكثر على تلك الصورة الفوتوغرافية المتقدمة للأوراق المتدلية بشموخ من بين براثن حاكمهم العتيد.

قصر بديع بحقٍّ يظهر بين مجموعةٍ ضخمة من الأشجار، كما لو أنه خُلِقَ من الطبيعة ذاهًا. مثلما تُظهِرُه تلك الصورة، يتخيلُه؛ قائمًا في العدم، وحيدًا .. بل أوحَد في صحرائه الخضراء البديعة تلك.

هذا قصرٌ ضَخمٌ، هكذا خرجت الكلمات من عقلِه ليلتقطَها صديقُه المهووس؛ ليحولها إلى كلمات مسموعةً "نعم هو ضخم، ضخم بحق"، ثم ثبّتَ إصبعًا على المشبك، وبأخرى شرَع في إزاحة الصورة لأعلى؛ نظراتُ صديقه المُرتابةُ للمشبك استوقفته، فداعبه قائلًا: "لا تقلق، فهو أَليف الآن.. لن يسحب روحك"، ثم استكمل حديثَه ليجد كلماته لا تَلْقَى مَرسًى، فصديقُه يتحسَّسُ مشبكه المرعب شاردَ الذّهنِ.

ربت كامل على كتفه قائلًا: "لا تستطيع نسيانه، أعلم كَم ترك في ذاكرتك" ... "الأغرب أني أحببْتُها، ذكراي التي تحمل حلو المرار".

انتقل للصورة التالية ليظهر له القصر أكثر قربًا من الصورة سابقتها، لكنه لا يزال بعيدًا عما أراد رؤيتَه؛ فهو يعرف كامل ويعرف كيف يحب القيام بالأمر.

● ● ● ●

فَضُّ اللُّغزِ .. أو الاقترابُ منه لا يكون إلا يوم بدءِ المغامرة، فالمغامرة هي جُزءٌ من الغموض المغلّف للحدث، والاقترابُ كثيرًا منها قبل بدئها يأكلُ جزءًا من مُتعتِها، وقد يكشف ما يَسترُها أو ينغِّصُ مُتعتَك بالمجهول الكامل.

لذا...

ها هي سيارة الدَّفْعِ الرباعي الأمريكية الضخمة من طراز 'اكسبلورر' مُنطلقة، تنهبُ الطريق المُقْفرَ في صحراء الوادي الجديد؛ حيث كان من المُخطَّط استصلاحُها وإنشاءُ مدينة جديدة كُبرى هناك، لكن مع الوقت باتت شَبَحَ فكرةٍ تلوح في أذهان القلائل ممن يتذكرونها.

كَثُرت الأقاويل عن سبب توقف المشروع الضخم الذي

سيغير من الخريطة – خاصة السكانية –؛ وما بين توقُّف التمويل وفساد إداريٍّ ولائحة التبريرات التي لا تَنضُبُ، وبين حوادثَ غريبة تُحاكي بها البعضَ البعضَ، توقف كُلُّ شيء حتى توقفَ الناس عن التَّذكُرِ من الأساس.



اثنانِ من كبار مهندسي المشروع لم ينسيا أيَّ شيء على الإطلاق، لم يستطيعا النسيان، فلقد كانت حياهما فيه، بل واستثمرا الكثير فيه أيضًا. كل هذا لم يشغل بال كامل الذي كان يجلس كعادته على تلك الطاولة المهجورة في رُكْنِ هذا البار القديم استعماري الطراز – الذي يعرف تاريخه منذ أيام الاحتلال –؛ ما لفت انتباهه بعيدًا عن حديث السكارى – الذي يسمعُه كلما أتى – هو صلب شطوطهما، وصفهما الدقيق لذلك القصر، وإن كان في وسط الصحراء، لكن لن يجتمع اثنان – وفي حالتهما تلك – على وصفٍ وحديثٍ واحدٍ.

الهوس الانتقالي، مرضٌ يستطيع الانتشار بين جمع ميولهم التي تكاد تكون متطابقة، لكن كلٌّ له مخيلة مغايرة تغيّر في بعض الأحداث، هكذا هو يعرف الكذب من الصدق في الغالب، بعيدًا عن الأمراض النفسية وبعيدًا

عن خبرته العميقة في مجاله الذي أَحَبَّهُ ووَهَبَه كله؛ إنما القصةُ مترابطةٌ، حبكتُها قوية، والوصف.. الوصفُ هو أكثر ما أذهَلَه.

الوحيدُ الذي يُصدِّقُ أو يستمع بالفعل وبتمعنٍ هو الأكبر حظًّا من البقية – حتى وإن اختلفت اهتماماهم – ؛ هكذا تجاذب أطراف الحديث معهم، وظل يَتردَّدُ أكثرَ من مرةٍ على المكان – على غير عادته – ليجمع أكبر كَمٍّ من المعلومات والمدخلات المترابطة من أفواهٍ تفوح منها رائحة الخمر الفاخر، وأذهانٍ يكسوها غبار السُّكْر. ظَلَّ يستمع ويستمع، ويدوّن في أيِّ شيء، حتى ذهنه؛ يفهم، يجمّع، يتخيل ويخطط، إلى أن حانت لحظة كشف القصة...

كشف وجود القصة.



سيارةٌ يابانية المنشأ رياضية الطراز، هرع خَلْفَ الاكسبلورر في تلك الصحراء الممهدة للوحشة؛ يَقودُها شابٌّ في منتصف العشرينيات من عمره، ملامحه يكسوها الجدّية والصلابة. مغامِرٌ من الطراز النادر، سَأَمَ حياة تصميم المطاردات والحركة السينمائية التي يبخل

منتجوها الصرف عليها لتظهر كما يجب، واتَّبع عِشْقَه القاسي ووَلَعَه بكلِّ ما هو خارقٌ للطبيعة – بعد انقطاعٍ عن العمل دامَ أكثر من عام – عندما تعرّف إلى 'البروفيسور'.

الغبار الطائر أمامه وحوله يستفزُّ الجُنون بداخله، يسحر حواسَّه، السيارة معدّة ومُجهَّزةٌ تمامًا، والطريق الخالي – إلا من سيارة الفريق أمامه – يثتثير شهوته؛ رجلاه في موضعهما، عيناه تلمعان، و... فجأة صار الغبار يغلي في الكون، والسيارة تنجرف بعنفٍ وبدقةٍ بالغة في نصف قوس يمينًا ويسارًا من الاكسبلورر التي تنهب الطريق مستقيمة في طريقها، مسرعةً أكثر كلما اقتربت اليابانية من مُنتصفِها.

"هيا"

ضحكاتٌ مجنونة تخرج من 'ماجد' الذي يَزيدُ من حِدَّةِ انحرافِ السيارة وقُطر القوس،مع زيادة السُّرعةِ والمكابح باحترافيةٍ شديدةٍ كما لو أنه 'كونيميتسوتاكاهاشي'* نفسه!

---

* كونيميتسوتاكاهاشي: الأب الروحي لرياضة الدريفت (**Drift**) والتي أبهر الجميع بها في السبعينيات في بطولة التورينج اليابانية (**Japan Touring Car Championship**).

تباطُؤ السيارة التي أصبحت – مجازًا – وسط سيارته أغراه أكثر، فبدأ بتقطيع سُرعته، وانطلق من أعلى قوسه يسارًا مُندفعًا بأعلى سرعة من الجهة اليُمنى للأمريكية، جارفًا نفسَه في دائرةٍ تَشُقُّ رمال الصحراء وعلى وجهه ابتسامةُ لذةٍ من فرطِ الأدرينالين الذي يسري بداخله و... خبت الابتسامة أمام الدهشة عندما لاح في جانب قرنيته اليمنى اللامعة، مَشْهدًا شديدَ الخُضرة، لا يُلائمُ الصورةَ القاحلة التي يعبثُ بها.

سرعان ما نَسِيَ ذُهولَه والتفت بالكامل لطريقه – الذي كاد يفقدُ السيطرة عليه –، واستكمل دورتَه بسرعةٍ وقوةٍ جنونيتين، حتى أن عودته لنقطة البداية جعلتْ ذيل السيارة يتمايل بشدةٍ يمينًا ويسارًا حول نفسه، إلى أن توقَّفَ خلف السيارة الأخرى بالضبط؛ مخلِّفًا إعصارًا خلفه، وأمامهما عاصفةٌ تنقشع تدريجيًّا.

السِّتار الأصفر ينفتحُ تدريجيًّا، ومعه الأعيُن التي تستقبل تغيُّر المنظر المفاجئ بلمعةٍ وهّاجة.

جنة خضراء زاهية الألوان وسط صحراء قاحلة أحادية اللون باهتة؛ كأنها خُلقَت من العدم في تلك البقعة تحديدًا.

حشائش خضراء نَضِرَةٌ قصيرة، مُمثّلةً شريطًا حُدوديًا، يبدأ التعالي تدريجيًّا بعلو نصف قدم ليختفي أمام سور الطبيعة العالي المتناثر بدقةٍ بالغة.. النخيل، الذي يقف شامخًا، طارحًا ظلًّا وثمرًا محبّبين للعين، تاركًا فجوة أوسع بينه – أمام السيارتين بالضبط –، ينفرد من خلالها طريقٌ شِبْهُ مُمهد، على جانبيه الكثير من الخُضرة الكثيفة المَمزوجة بألوانٍ بُنّية يبدو على أغلبها العتْقُ؛ هناك في منتصف المشهد بعيدًا يلوح في الفضاء شَبَحٌ مُدبّبٌ يبدو كأنه يخترق السحاب.

يتحسسه كامل من أعلى جلد حقيبته؛ ثم يُخرج يده اليُسرى من نافذة السيارة مشيرًا بالتقدم للمذهول خلفه، الجالس على باب سيارته مخرجًا كامل جسده منها ليتزلق مرةً أخرى بداخلها، وتبدأ أصوات المحركات تخور من جديد مُقطّعةً سكون المكان، وتنطلقان إلى وجهتيهما بين إبداع الخالق.

فاصل من حصى مرقّط يفترش بطول المتر ونصفه، ممتد عرضًا بعرض الوحش المحمي بأسواره العالية العاتية، توقفَت على حدِّه عجلات الاكسبلورر الأمامية؛ سكنت فجأة أصوات المحركات وخلا الفضاء إلا من أصواتِ

تنفُسها، سكون لدرجة أن ترجُّل الجميع لم يصدر عنه صوت.

اصطف السبعة أمام السيارة يشهدون الروعة بأم أعينهم متجسّدة، حتى أن ماجد نسي ما كان يريد قوله حين ترجَّل من سيارتِه ووقف صامتًا مصدومًا ومبهورًا مثل البقية، وقفوا شاهدين على السحر في هيئتِه المعمارية، والطبيعية في آنٍ واحد؛ شاهدين على بداية مغامرتهم التي بدأت منذ انفتح الستار الأصفر، وعلى رحلة جديدة تبدأ ومعها يبدؤون...

أوليس كذلك؟

سور ضخم من الحجارة الجبلية على مساحة شاسعة، تتوسطه بوابة من الحديد الزهر -بارتفاعه- تُفتحُ على الجانبين للداخل؛ يعلوها بمتر -فوق متريها- قوس من ذات الحديد مُزخْرَف، يتوسَّطُه حروف لاتينية مُشكّلة جملة "Lapsus Memoriae".

الطريق للداخل مُمهَّدٌ بممرٍّ عريضٍ مستوٍ من 'البازالت' يصل إلى بداية القصر، أو للدِّقة للسلالم المؤدية لباب القصر، وعن جانبيه -الممر- يفترش تكملة ذاك الحَصى المرقط النادر، الذي يبدو كأعيُن لا حصر لها

تشهد على كل شيء وكل وطأة قدم في صمت مرعب؛ لكَمّ شهدت، وإلى متى، لا أحد غيره يعلم...

فَضُّ اللُّغزِ لا يكون إلا يوم بدءِ المغامرة ... اليوم ندخل في الصورة لجعلها حيّةً، لكشف حقيقتها، وفض غموضها، أو إعادة اكتشافها.

لذا، فللمرة الأولى يتَّجهُ كامل -الذي كَسَرَ حالة الجمود المخيّمة على الجميع- نحو البوابة لفتحها، فتبعه 'كرم' الذي استفاق من غَفْوتِه العميقة لمساعدته؛ فهو كتلة القوة في الفريق، العضلات والأعصاب الحديدية التي أُختيرتْ بعناية من قِبل القائد للانضمام للفريق، فتلك المهنة تقتضي ما هو أكثر بكثير من -فقط- عضل فارغ، هذا إن أردنا تسميتها بـــــ'مهنة' بالفعل.

بدأ البقيةُ في التحرُّكِ تباعًا كلٌّ إلى مهمته ومهماته، كأنما أحدُهم ضغط أخيرًا على زرٍّ إعادة التشغيل؛ قفز ماجد في الاكسبلورر بعدما أفرغ -أغلب- ما بها من معدّات، مُتهاديًا بها للداخل بناءً على إشارة من القائد الواقف بجانب البوابة المفتوحة على مصراعيها، وخلفه سيرًا مع المعدات بقية الفريق.

ما إن مَرَّ الجميع أمامه، ذهب كامل للسيارة الأخرى ليعدِّلَ من وقفتِها، لتكون مقدمتُها مواجهةً للطريق وخلفيتُها على حد الأعين المراقبة على الأرض، ثم عاد للبقية وأغلق البوابة خلفهم.

الأشجار الصحراوية الكثيفة تمتدُّ للداخل كذلك، تستطيع أن تقول إنها أكثر نَضارةً وبريقًا من مثيلاتها خارج حدود القصر؛ أشجار زيتون، سنديان،... "أركان!" كانت تلك من 'سحَر' التي تخففت من أمتعتها لدى كرم في لحظة، وتوجهت لتلك الشجرة الضخمة في الحديقة المليئة بالعديد من بديع الطبيعة.

أخذتْ تتحسَّسُها عالمة النباتات والسموم، ثم أخرجتْ مشرطًا صغيرًا من جيب بنطالِها، وكشطت جزءًا صغيرًا من ساقِها العتيق ووقفت تتفحص بعينها عيِّنتها، ثم التفَّت ناحية الأعين المتسائلة خلفَها قائلة: "هذه أرجانيا سبينوزا (Argania Spinosa) وهنا! تلك الشجرة نادرة الوجود، وثمرها من اللوز، زَيتُها هو الأغلى في العالم" وشرعت في قطف عينة من الثمر، لكنَّ صوتًا حاسمًا من خلفِها استوقفها: "كفى!" واستكمل هادئًا: "نحن لا نبدأ العمل من تلقاء أنفسنا أو

نعبث بأي شيء قبل التأكد منه. هذه ليست رحلة كشفية، لا تجعلي اندفاعك العلمي يتغلب على حذرك". عادت الفتاة المُحرَجة إلى القطيع، فربت كا على كتفها قائلًا بصوت أبويٍّ حنون هذه المرة: "فقط لا أريد فقدانك، إنه باغتنا ما لا نعلمه حتى الآن ". تأسفت منه وأخذت أشياءها مرة أخرى من كرم، وبعينيها أخذت تعاين تلك الحديقة الثرية بالجمال والعجائب، مُتعجبةً أكثر من تلك الأحواض الدائرية المتناثرة في كل مكان والمليئة بالأزهار البارعة كل شكل ولون، متداخلة في تناغم رشيق؛ خاصة ذلك الحوض الكبير حول النافورة أقصى يمين القصر.

"هناك خطب ما، لا تقربوا كثيرًا".

قالها كامل الذي تحركت أحشاؤه فجأة عند اقترابهم من النافورة الساكنة الرقيقة، إنّ كُلّ ما بها وحولها مُثيرٌ للريبة له؛ هناك ثلاث أعمدة من الطراز الآيوني – مثل تلك التي تراها في المعابد اليونانية القديمة – قائمة على حدود النافورة، وأبعادها متساوية بدقةٍ رهيبة مُشكّلةً مُثلثًا مُتساوي الأضلع، وواقفة على شريط الزهور الذي لا يتعدّاها. أما عن بدن النافورة فهو جبل مَنحوتٌ عليه

فرعانِ مُتداخلانِ مُطعَّمانِ بأزهارٍ دقيقةِ النَّحت، وقُلوبُها مجوَّفةٌ لتخرج منها الماء وشامخةً، كيوبيد يعتلي جبله.
"هذا أغرب تصميم لكيوبيد!"

قال تلك الجملة 'هادي' الذي يحاول جاهدًا مَنْعَ نفسه من الاقتراب من شغفه، ثم استكمل بعد أن رأى الجميع ينظرون له في انتظار أن يكمل: "عندما ترى إله الحب فاردًا قوسَه بيدٍ فهذا أمر طبيعي، إنما ذلك يسحب سهمًا من الجعبة باليد الأخرى..."، قاطعه ماجد مُستهزئًا " نشكرك على المعلومات القيّمة، فكيوبيد لم يكن يعرف إن كان يسحب سهمًا بقلب أم سهمًا عاديًّا".

"رغم غبائك هذا فأنتَ مُصيبٌ في جُزءٍ مِمّا قلتَه. هذا الكيوبيد معصوب العينين، وهي حركة حديثة في الفن كنايةً على أن الحب أعمى؛ لكن كيوبيد أعمى وهذا لا يتطابق مع الدقة النحتية، والتعبيرية التي نراها في النافورة أو حوض الزهور الملتف حول الكيان كله"، هنا تحدَّثت سحر مُنطلقةً مِمّا قال هادي: "هذا الشريط الزهري يحوي بقية الآية الجمالية؛ فالزنبق هو قمة الجمال، والهيدرانجيا تلك هي القلب المخلص، وبالطبع مع التيوليب تكتمل

الصورة "، لمعت عيناها فجأة وسط حديثها من الجمال الذي ظهر لها، فاستكملت كالمنوّمة "اللوسين .. هذه الزهرة نادرة تنمو أعلى الجبال، ووضعت في مكانها تمامًا، منحوتة على جبل كيوبيد".

اقترب هادي من ماجد رابتًا على كتفه قائلًا بنبرةٍ ساخرةٍ: "الأبله دائمًا تقودُه السُّرعة".

نظرة صامتة من القائد أنهت شجارًا لم تبدأْهُ إلا الأعين، ثم تبعا البقية مارين من الطريق الممهد بجانب تلك الحُجرة البارزة من القصر ذات الباب الخشبي العريض المطِل على الجزء الأيمن، تبدو كإسطبل هجرتْهُ حياته، حتى أنك لا تستطيع رؤية داخله من الفُتحات به، كأنه يصدر العتمة من داخله.

هنا تذكر ماجد ما كان يريد قوله أثناء دخولهم، فوجَّهَ حديثه لكامل: "بمناسبة ذلك الجراج والسيارة المتروكة في الخلاء. لماذا نأتِي دائمًا بسيارتين؟ لطالما أردتُ السؤال في كل مرة.

ضحك كامل مجيبًا: "إجراء احترازي كما يقولون؛ فالسيارات لا تعمل دائمًا عند الحاجة إليها، خاصة في

الأفلام، فما بالك بالحقيقة مع واقع مرعب. إن علقنا بالداخل سنتمكّن من دفع الضخمة لكسر البوابة إن تحجّرت في وجهنا، فالدخول السهل لا ينبئ بالخير دائمًا، دائمًا توقّع الأسوأ وتذكّرْه في داخلك، فالهلاك لا يُعطي نذيرًا قبل مجيئه"، ثم قال بابتسامة عريضة كاسرًا الصمت الذي هبط عليهم من التفكير، محادثًا ماجد: "هذه سابقة لك في الذكاء".

انفجر الفريق ضحكًا أمام درجات السُّلَّم، يضحكون على نكات ماجد التي انطلقت فجأة، ناظرين للقصر.

واقفين أمام جزء شبه دائري يبرز عنه علوًّا شرفتان واسعتان، وعلى جانبي قطره يعلو عمودان قمتهما كرخ شطرنج (طابية)، يحتويان بينهما قمة القصر المثلثة التي تعلوهما بمتر على الأقل، والمكسوة – كسائر السقف – بالأردواز*؛ أما الزوايا الأربع من الأعلى مُزخرفة بقبعات تشبه أبراج الاستطلاع في الحصون القديمة، راسية على قاعدة مربعة – مثلها – بنسبة اثنين إلى واحد في العرض والارتفاع.

---

* الأردواز: صخر صفائحي مرقق كأوراق شجر، يتكون من الطين أو الرماد البركاني.

هبوطًا يملأ عينيك درجةٌ غريبة من اللون الرمادي، غرابتها تكمن في طبيعتها المريحة للنظر، كاسية هذا الكم من الهائل من الطوب الأحمر المطبوخ؛ يكسرها فقط لون بني فاتح بعض الشيء يغطي حُلي وقوائم النوافذ التي يُغطي أعلى أغلبها قطع الأردواز الذي يمرر مياه الأمطار، ويحدُّ من حِدَّة وأشعة الشمس.

البداية الحقيقية، تبدأ من حيث يقفون أسفلِها، أو قُل على نهايتها.

يقع باب القصر وسط شُرفته الخاصة، الممتدة إلى حدّي العمودين، وأمامه ينفرد هبوطًا لسبع درجات عالية، السلم الجرانيتي العريض حيث يقفون.

"إن كانت تلك عتبة، فبمَ كان يفكر مهندسه!؟" قالها كرم مندهشًا، فردَّ عليه 'سامح' بلا تردُّد: "لأنك كتلة، لا ترى الجمال في الأشياء". هَمَّ الفتى مُزمجرًا بالردِّ عليه، لكنَّ كامل تدخّل قائلًا: "أتمنى أن تكون كَوَّنتَ فكرتك عن كيفية دخولنا بدلًا من إطلاق لسانك على الخلق"، رَدَّ بسرعة ساحبًا نفسَه إلى حواره الجديد: "لا تقلق يا كبير، لا يوجد قفل يستعصي علينا أو مكان لا يمكنّنا تحديده".

" تمام .. اصعدوا، وأنت اكتشف لنا مدخلنا. هناك شيء عليّ تفقُّده أولًا". ذهب وحده للجهة اليسرى من القصر مارًّا بالحديقة الكبرى أو المتاهة النباتية الصغيرة – كما يراها – ثم ذهب للجزء الأيمن حيث كيوبيد، ثم عاد ووَقَفَ على أول درجة يفكِّرُ بعض الشيء قبل أن ينضمَّ للبقية في الأعلى".

الفتى يعبث بالباب وبقفله في صمتٍ تامٍّ من الجميع ومن الطبيعة. هو يعلمُ جيدًا – بالفعل – ما يفعِله، الأفضل في مجاله، لذا تم اختياره.

قطرةُ عرقٍ حائرةٌ تنسالُ على جبينه حتى توقفت على ذقنه؛ توتره مُنعدم، القطرة تجاهدُ لتسقط، لكنها كالقفل كيانها مُهتزٌّ، وما إنْ سقطَت، الصوت صدر. هَزَّ السكون، هَزَّ سكونَهم، ومكنوناتهم. القفل صار مفتوحًا، والباب على شفا دفعة صغيرة رقيقة ليصدر صريره المريع المُنتظَر. صرير لا تعرف إن كان من الزمن الذي تُرك به أو من انقباض حدقته لدخول الشمس إليه. صار مفتوحًا.. باب الجحيم، صار قريبًا صرير الهلاك... نظر له كامل وهم قائلًا في ذهنه: "ستُهزمُ مهما تكن". اثنان التفتا للخلف .. كرم لأول مرة يفهم جمال المشهد

من موقعهم على ما اعتقد أنها مجرد عتبة، فَهِمَ فيمَ كان يفكر مبدعه وليس مهندسه، لأول مرة يكتشف بالفعل الجمال في الأشياء؛ أما 'نادين' فعيناها تلتقطان مشهدًا اختزن في عينيها وذاكرتها، كيف تتخلل أشعة الشمس الصافية الحديد المطاع ليتلألأ كاتبًا بظله، ترحيبه الخاص، فتمتمت لا إراديًّا "لابسوس ميموريااي .. أنت بالفعل غفلة من الذاكرة".



صورة منظمة ومنمَّقة تنكشف لك بطيئًا...



الضوء يتغلغل تدريجيًّا للداخل مع كل بوصة تنفتح من الباب حتى تكاد ترى كل شيء أمامك يتلألأ، ليسطعَ مرةً واحدة مع انفتاح الباب عن آخره ويظهر كل شيء على حقيقته؛ حقيقته الأروع سطوعًا من التعبير عنها.

المدخل غرفة واسعة، هي غرفتان في واحدة؛ أمام الباب مدفأة بالحطب مغلق بابها بسياج حديدي، على حدّيها تمثالان من النحاس بطول السياج لأنوبيس، وبجانبهما – على كل جانب –مزهريتان راسختان على منضدتين

تتخطيان رأس الإله الفرعوني، حاويتين في داخلهما مجموعة سداسية من زهر الأوركيد، ومعلّق على الجدار أعلى الأوراق شمعدانان كل منهما به ثلاثة أفرع على شكل أوراق نفس الزهرة، وهناك حلق بارز بالأعلى يتوسطهما تمامًا، مرتكزة عليه صورة سريالية وعلى جانبيها قنديلان من الفخار.

الغرفة كلها يكسوها خشبُ زان مُطعَّم بقطاعات خشبية مربعة بارزة، تفطس على البابين جانبي المدفأة المفتوحين على مصراعيهما على ساحة القصر الرئيسية. جال كامل بنظره في المكان قبل أن ينطق آمرًا: "سنتمركز هنا"، واتَّجه للقسم الأيسر مع المعدات واضعًا إياها على الأريكة الوثيرة، فتبعه الجميع تباعًا متخففين ممَّا يحملون. "غرفة استقبال مريبة"، قالتها نادين ساحبَة كاميراتها الشخصية متجولة بها، مستكملة تصوير كل شيء قبل استخدام كاميراتها الأخرى، وكامل شاردُ الذّهنِ يدور بنظره بطيئًا، بينما البقية يعبثون بأدواتهم أو يتأملون اللوحات الزيتية حولهم؛ استوقفَ ماجد عن اللعب بالأباجورة بجانبه تمتماتُ قائدهم التي لا يستطيعُ تفسيرَها، فقاطعه بالسؤال عمَّا يدور بذهنه، فردَّ كامل كأنه يستكملُ حديثَه مع نفسه: "كل شيء في هذا المكان يدور حول الرقم ثلاثة عشر، لقد تأكدت الآن أكثر"،

ثم أشار ناحية المدفأة قائلًا: "عدد كل جانب يستكمل بعضه هو ثلاثة عشر، تمثال وثلاث أرجل نحاسية، مع ستة أزهار وثلاث ورقات، مربعات الباب ثلاثة عشر"، هنا أومأت الفتاة في القسم الأيمن برأسها مؤكدة في فزع كلامَه، ثم استكمل: "عدد نوافذ كل وجهة في الخارج هوست وعشرون متفرقين، أي ثلاثة عشر لكل دور من كل جهة ... لنأمل أننا لسنا بصدد سحر كابالا أو أرقام طلسمية هنا".

● ● ● ●

"الدخول أسهل ما يكون، إنما الخروج..."، قالها بإيماءة ذو الشارب الكثيف وانفجر في بكاء مرير كاد يتسبب في طردِه من المكان لكثرة تطفله، لولا تدخّله لتصفية الأجواء وتهدئة الوضع، ثم قدّم له كوب ماء فبدأ الرجل في الهدوء مستكملًا حديثه: "لقد تشوَّهَ اثنان ممن كانوا معي بسهام دقيقة لَعينة، لا تعلم من أين تأتي، لكنها تخترق الهواء، وتخترِقُ أيَّ شيء حيٍّ في طريقها، تأكل بسرعتِها اللَّحم وعصيره.. فارقا الحياة بعد دقائق مع ثلاثة آخرين اخترقتهم تمامًا فماتوا في الحال؛ لا تقرب من الحديقة في أي مكان، فهي تكره الزائرين أكثر من أي شيء، ستتسبب وحدها في هلاكك"، ثم رفع القماش عن ساعده لتظهر غابة نتوءات، هي نصيبه.

دمعة هربت من عينه وهو يقول: "الصورة، وكلمات ساهر الأخيرة وهو مُلقًى ينظر للسماء بعينين زائغتين تصرعه الصدمة والدماء تنسالُ من كل شِبرٍ في جسده وتتدفّقُ الدماء أكثر مع كل نفَس متعثر يتحرَّرُ، كأنه مِصفاةٌ بشرية؛ لا تفارقْني"

"طفلٌ صغيرٌ فاردٌ ذراعيه أوسعهما تختفي من خلفه الشمس تدريجيًا تحت غبار جراد رمادي يحيل غروبها إلى قرص دامي يموت في ظلمتهم"

أخرجَ عمودً قصيرًا رماديَّ اللّون لامعًا مُدبَّبَ القِمَّتين، أحدُهما مُغطًى بطبقةٍ داكنة، تجلطت فوقه...

● ● ● ●

لماذا تذكَّر الآن؟ تذكّر أول شيء لاستخدامه. "جهّز جهاز الموجات الترددية المرتدة"، نطق بها كامل فانطلق النحل للعمل يجهزون عدّتهم وأدواتهم؛ إشارة البدء هي، رغم أن الكلام موجهًا لهادي، إنما كأن تيارًا كهربيًّا سرَى في وحش فرانكنشتَين فأفاقَ من ثُباته بكُلّ حيوية للعمل.

هادي يجهّز آلته الثمينة للعمل ويساعِدُه سامح؛ نادين تجهز كاميراتها الثابتة والمتحركة، كذلك جهاز

التصوير بالأشعة تحت الحمراء. ماجد يعمل بحرارة هنا وهناك، يساند نادين ويساعد سحر في تثبيت جهاز الكشف عن السموم المحمول خاصتها وعدّة إعداد الترياق؛ أما كامل فيعبث على الحاسوب، وكرم في كل مكان يساند الجميع في الأعمال الشاقة، ويقوم لنادين بدور (الموديل) للتأكد من عمل كاميراها، بعد أن جهّز مناظير الرؤية الليلية.

كل شيء جاهز، كل شيء معَدٌّ، كل شيء مسالم لدرجة رهيبة ومرعبة؛ كل شيء سُمع أو قيل هو هواء وهُراء حتى الآن.

كل شيء ... ينتظر

● ● ● ●

ستعرفها عندما تسمعها، ستظلُّ تنادي وتنادي ولن يخرج صوتها منك مهما تبع...

● ● ● ●

اتجه الفريق من غرفة الاستقبال إلى الساحة الرئيسية للقصر. عالم آخر عما كانوا فيه، الرخام الأبيض الأسباني الناصع يكسو المكان، وسُلّمٌ في المنتصف بالضبط ينقسم إلى اثنين، ملتوٍ هبوطًا ويتوسط قسميه تمثالٌ رُخاميٌّ

لڤينوس إلهة الجمال، حاملة ورقة توت تغطي بها جزءها السفلي. عن يمينهم غرفة بابها مفتوح تُرى منها نافذة زجاجية تطلُّ على (التِّراس) أعلى الإصطبل، تبدو غرفة المكتب الرئيسي بالقصر، وعلى اليسار نافذة حولها أثاث فخم مكسو بجلدٍ طبيعي لونه كثلج مجروف، وبهوان على كلٍّ جانب بطولِ القصر ينتهيان بأبوابٍ متطابقة – في كل جانب –، كشفتهما كاميرا الأشعة تحتَ الحمراء في تلك العتمة، ولم ترصد أيَّ تحرك غريب أو أجسامٍ غير مرئيةٍ.

"كيف يمكن لهذا المكان أن يكون بتلك الفظائع التي أتينا من أجلها؟" قالها هادي متعجبًا، فهو لا يرى سوى قصر فخم تناساه الناس أُثيرتْ حوله الخرافاتُ لإبعاد المتطفلين عنه حتى تناسى وجوده الناس؛ وكأن كامل يقرأ ما يجول بخاطر الفتى فردَّ سؤاله بسؤال أهم: "جهازك جاهز؟" فأجابه بإبهام للأعلى.

"ابحث عن الأقبية فهي ما تحمل وتحوي السر دائمًا"، هنا تواتر لذهن ماجد فكرة عن مكان وجوده، "مؤكد أنه في الجزء الخلفي حيث العتمة، لنتجهّز ونذهب للاستكشاف"، أسكته سامح الذي رأى اللمعة في عينيّ

كامل التي التقطها هادي وبدأ في التحرك وتبعه الجميع في صمت.

"سننقّبُ على غرفة الملك، استعدوا"، قالها هادي الذي يقف أمام الجدار الأسود الوحيد بالمكان خلف تمثال ڤينوس وحده مع آلته، التي تطلقُ موجاتِها إلى الجدار بحثًا عن تجويف خلفه، مرتدة مرة أخرى عاكسة صورة على الشاشة بالآلة وشاشة حاسوب كامل المحمول الواصلة بشاشتها، لتُظهر انعكاس الجدار وقراءات عن العمق والطول والحاجز؛ يمكنُك اعتبارُه جهاز السونار الخاص بالأبنية، الآثار تحديدًا وخصيصًا. انعكاسات تظهر وقراءات تقفز على الشاشة، حتى صاح إنديانا چونز فخرًا: "وجدته!". ما إن نطق بها، ظهر البقية من خلفه تباعًا في حركة مملوءة بعلامات استفهام، فأجاب حيرتهم: "خلف الجدار فجوة للأسفل عمقها متران، حتمًا هنا القبو، فالصورة معرجة كدرجات"، أجابهم فخرًا أكثر لأنها المرة الأولى التي يستخدمون فيها الآلة أخيرًا، ونجح بالأمر أيضًا.

وقف كامل يتفحص ذلك الجدار الرخامي أسود اللّونِ، باحثًا عن الفراغ الخفي أو نقطة الضغط السحرية

و... فجأة صار صوت خوار عميق للحجارة، وجزء من الجدار تحرك للخلف مُنسحبًا لليسار تدريجيًّا حتى اختفى تمامًا خلف بقيته.

الأعين كلها اتجهت لكرم الذي يقف مبهورًا ويده لا تزال عالقة على ذلك الجزء من الجدار، الذي قام بذلك السحر؛ "لقد رأيت الجمال في الأشياء"، قالها ثم هَزَّ كتفه كفتاة خجول، وأشار للتمثال، تحديدًا إلى يد ڤينوس اليُمنىً الموضوعة على شعرها خلف رأسها المائل في دلال. هناك إصبعان بارزتان في حركة يدها، لمحهما فتبعهما إلى حيث تشيران، وبضغطة قوية باحثة انفتح الباب السري. انقضّت عليه سحر بدون سابق إنذار متعلقة برقبته، فاركة رأسه في مرح؛ نعم هذا حبيبها البطل، المكتشِف، وحديثًا مرهف الحسِّ.

تقدّم ماجد المسيرة سريعًا وسط ابتسامات الجميع، حاملًا كشافًا كهربيًّا دون ارتداء نظارة الرؤية الليلية مثل الباقين وهم يهبطون تلك الدرجات الحجرية المستوية، حتى وصلوا إلى آخرها حيث لا يستطيع ضوء الكشاف كسر العتمة، فقرر ارتداء النظارة والاستغناء عنه، رغم قدرته على تكثيف إشاعته، لكنَّ توترًا يسري في جسده يمنعه من التفكير.

سرداب طويل يمرر شخصان على الأكثر، ينتهي بباب في آخره، باب وحيد وسط هذا الكَمّ من الحجارة على الجانبين وفوقه؛ حوائطُ الجانبان مُثبَّتٌ عليها شمعدانات معدنية لها طابع قوطي تلمع في مناظيرهم. يمشون بطيئًا في ترقُّبٍ وتوجُّسٍ يتحسسون طريقهم من وراء اللَّونِ الأخضر الذي يتيح لهم الرؤية و... وهج كاسح انتفض في أعينهم مباغتًا كاد يفقدهم أبصارهم، وأشياء كثيرة أخرى؛ فما إن خلعوا مناظيرهم رأوا كل شيء بوضوح تام، وضوح حارق، تمسَّك بطرف شعر نادين التي تدور في جنون مع الدنيا التي تدور على كتفها، ملتقطة صرخات الفتاتين وصيحات محاولة للمة شتاتهم، هناك أيضًا هادي الذي يظهر وحده في الكادر محاولًا إفاقتها من الصدمة، لتجد نفسها مطروحة أرضًا تتفتح عينيها على الحقيقة شيئًا فشّيئًا، الباقون يحاولون الابتعاد عن اللّهب المجنون الذي يكاد يشوي وجوههم. النار المستعرة في الشمعدانات من كل جانب تهب أكثر فأكثر حتى استقر كل شيء مرة واحدة، وهدأت النيران المستعرة مستقرة في مكانها خلف أسوار معدنها الذي يحتويها، مترافصة في براءة بليغة.

لملموا شتات أنفسهم بعد التأكد من هدوء كل شيء واستقرارِه، ونظّموا أنفسهم متحركين في صفين – متقاربين – يتحسسون الخُطى، متأهبينَ لأيّة مفاجأة، إلى أن وصلوا إلى الباب الموصد بقفل كبير غليظ الشكل، عجيب الهيئة.

تفرق الصفان بمحاذاة الجانبين إلا سامح الواقف عند الباب محاولًا اختراق دفاعه المتين ذا القلب غريب الشكل متعدد أنظمة الأمان، لذا لم تفلح مُحاولاتُه الطبيعية فلجأ إلى منظاره الدقيق الواصل بالشاشة التي يحملها له كامل. يحاول جاهدًا تتبعِ ألغازه ومُسايَرةَ نقاط التفكيك، حتى صدر أخيرًا هديرٌ غليظٌ، تردَّدَ صداهُ بقوة مُتخبطاً في المكان الضيق، متردِّدًا في رهبة مخيفة كما لو أنه يُصارعُ للخروجِ هربًا من محبسِه؛ والقفل يتدلّى في عِنادٍ ساكنٍ في تحدٍّ.

أفلته الفتى من مجراه، ووقف ينتظر إشارة القائد لفتحِ سرِّ القَبْوِ.

الأنفاس صداها يُبدِّدُ سكون المكان ويُشعلُ توتُّرَهُم أكثر. الباب على شفا دفعة صغيرة، وقلوبهم على شفا انقباضة قصيرة.

الإشارة أتت بالتزام الأماكن والتأكد من عمل الكاميرا المُثبتة على كتف الفتاة – التي خفَّ ارتجافُها –، ثم.. الإشارة المنتظَرة. دُفع الباب بقوة و... سكون تامٌّ، وعتمة حالكة.

لحظةً توقَّفَ فيها كل شيء، حتى الزمن كَفَّ عن الدوران؛ شيء واحد لا يزال يتردَّدُ في توقُّفِه، صوت نبضات تنطلق من خلف أقفاصِها.

وقف الجميع معتدلين ينظرون للعتمة الصادرة من الداخل، حيث لا يمكن رؤية أي شيء أو تحديد ملامح، كأنما اللونُ الأسودُ خُلِقَ من تلك الغرفة، فمنظار الرؤية الليلية نفسه يقفُ عاجزًا أمامها.

انقباضة غريبة سَرَت في سرٍّ كامل، وشعور بثقَلٍ أغرب في الهواء المغذي لعقله؛ فجأة صرخ بكل قوته "ابتعدواا..." طائرًا إلى الأرض. لم تنته جُملتُه حتى اخترق صداها رُمحٌ قادمٌ من براثنِ العتمة بسرعة البَرْقِ يُقطِّع أوصال الهواء، جاعلًا كلَّ فرد يطير هربًا منه على الجانبين، كأنما هواؤه يُفرغ المكان من حوله.

سحر واقفة في مرماه تحاول الهرب، لكنَّ رجليها لا تتقدمان إلى أي مكان؛ صرخ بها ماجد قافزًا من مكانه

عند الحائط إليها، فبدأت عيناها ترمشان استجابةً، ووجدت نفسها تهبطُ في بطءٍ ومنظر الرمح طائرًا من فوق عينيها، كأن دَهْرًا مَرَّ على ذلك المشهد، حتى صار كل شيء يسري أسرع من سُرعته الطبيعية مرة واحدة. ماجد يدور في الهواء خلفها صارخًا في ألمٍ بعد أن كانت بين ذِراعيه، تحاول جاهدة النداء على هادي المتجمّد مكانَه في المنتصف، لكنَّ صوتَها لا يَقْبَلُ الخروجَ.

الفتي حاملًا الكشّاف، ينظر بصفاء بالغٍ للرمح الطائر ناحيته وعيناه ثابتتان عليه لا تتحركان ...

● ● ●

عيناها لم تفارقاه قط منذ صغره، لا يمكن نسيانها بتلك السهولة ما حييت..هل تسمع صوتها؟ هل تتذكره؟ هل تستطيع نسيانه من الأساس؟!

اسمك تسمعه مرة أخرى بذلك الصوت العذب الرهيب الذي يعذبك عذوبته؛ ما حييت وكبرت ستطاردك، وها قد أتى اليوم الموعود لملاقاتِها مُجددًا.

يقف الصبي ذو التسعة عشر عامًا في مزرعة أبيه على طريق القاهرة – الإسكندرية الصحراوي، بين حقول أشجار التوت، تفصله أميال عن فيلته التي لم يأتِ منها

بعربته الكهربائية - كالمعتاد - مُفضلًا السير، للمفاضلة بين العرضين المطروحين أمامه؛ ولعه وعشقه بالحضارات القديمة والأساطير، والآثار. قول صغير يحدد مصيره بالالتحاق بفريقٍ بحثيٍّ مُخضرمٍ له باعٌ في الكشف عن الآثار، تعرف إليه في رحلة كشف صغيرة قام بها مع أصدقائه، لكنها كانت ناجحة للغاية، وهناك أيضًا تعرّف بعرضه الآخر في مقبرة نائية لكاهنٍ فرعونيٍّ، كادت تقضي على حياة مستكشفيها اللذين يشكّلان فريقًا للكشف عن "الما ورائيات".

" هادي ... هادي ... هادي .... "

الصوت عاد، هو ذاته، إنه يخترق جهازَه العصبيَّ، يفتته ويشلُّ حركته. الأشجار تهتزُّ أفرعها وأوراقها بقوة، وريح خبيث ينتشر في المكان يُجمد الجو الصحو الذي انقلب فجأةً؛ الأوراق من بعيد تبتعد على الجانبين مُنذرةً بقدومها، تلك التي لا ولن تتركك أبدًا.

تتجسد في العدم بوجهها القبيح، قادمة على الريح فوق عصاها ذات الرأس المدبب الذي يشبه قدم دجاجة. ظهرت كاملة أمامه مرة واحدة، ينبعث من كل مكان بجزئها العلوي ممصاتٌ تتلوّى في مرارةٍ متجهة نحوه؛

أمامها لا يَقوَى على الحركة أو الكلام، يشعر بروحه تنسحبُ منه من خلال مِصاتها التي تُقَربه منها حثيثًا، ساحبة جسده معها إلى عصاها الموجّهة إلى قفصه الصدري و...

صوت من بعيد اخترق روحه ليحررها، أفاقه من ثُباته، جعل جسده ينتفض بقوة، قافزًا للخلف واقعًا على الأرضِ معها ينظر لثورتِها وهي تعودُ على عصاها. لمسةٌ جعلتُه ينتفضُ في مكانه، فنظر خلفه ليجد أختَه تنظر لوجههِ الأزرق مُرتعدةً، وللخلاء حولهما الذي جعل من لونه هكذا، غير مستوعبةٍ ما يمكن أن يفعل ذلك به.. " الآثار..." قالها بصوت خافت يكاد لا يخرج من أسوار فمه: "اخترت الآثار". أسكتته الفتاة مساعدة إياه على النهوض وأركبته الكلَب-كار (Club Car)؛ وهو لا ينفكُّ ينظرُ للأشجار باحثًا عنها.

اختفت في لَمْحِ البَصَرِ كما ظهرت، لكنك ستعرفها عندما تسمعها، ستظلُّ تنادي وتنادي ولن يخرج صوتُها منك مهما تبعد؛ أنت تعرف نداءاتها، تعرف صوتَها.

لقد عادت، هذه المرة بكلّ تصميمٍ منها، وبكلّ تسليمٍ منك. لن ترى، لكنك تسمعُ، تسمعُ خُوارَ ممصاها الملتاعة؛ إنها محترفة ظلمة.

إنها الظلمة ...

● ● ●

"بابا يا جــــــ..." صرخة انطلقت وانقطعت برشوق الرمح وسط صدر الفتى بالضبط، أطلقه أمتارًا للخلف، "اااا" تكملة صدرت من فم الجحيم، انتهت بسقوطه صامتًا جثة هامدة تنسالُ من قلبه الدماء تُغرِقُ الأرضَ، وبجانبه الكشاف مُضاء - أخيرًا - مُسلطًا على وجهه الذي تعتريه أمارات الرضا المُرعب، وخيطٌ أحمر رفيع ينسالُ مُغرقًا فمَه ورقبتَه، ومن ظهره تخرج رجل دجاجة تنزلق من عليها قطرات الياقوت.

الصراخ يصمُّ الآذان والهرج يعمُّ المكان، الباب انغلق بأعجوبةٍ وثُبِّت عليه قفله بأيادٍ مرتعشةٍ، وصار الكل يجرون متخبطينَ باتجاه المخرجِ منقلبينَ على بعضهم البعض؛ أما نادين فوقفت أمامه تترقرق دموعها في مقلتيها، وكامل مع ماجد - المصاب - يحاولان جاهدين إخراج الرُّمحِ من صدر هادي ثم حملاه معًا خارجين

بسرعة من السِّرداب صاعدين الدرجات محاولين لملمة شتات أعصابهم، حتى خرج ثلاثتهم به؛ ضربت نادين الحائط لينغلق مرة أخرى وأخيرة، مصدرًا خواره الضعيف في آذاهم هذه المرة، محاولًا كسر الطنين في آذاهم.

حملاه إلى الأريكة البيضاء حيث وضعاه، وخلفهما الفتاة جارة جهازه المهشم من ثورة أحدهم تعرقل وهو يخرج هربًا، ثم كالمنومة ذهبت لغرفة الاستقبال في صمتٍ حيث يوجدُ البقيّة - الذين لم تر أحدًا منهم - وأخذتْ ملاءة من حقيبتها وعادت بها إلى الرجلين ليغطوا بها الفتى المستلقي في هدوء الموتى. الثلج يفترشه عصير الدماء المنهمر، هنا لم يتحمّل جهازها العصبي أكثر من ذلك وهوت على الأرض مُطلقةً لدموعها العنان، باكية وصارخة بحرقة مريرة؛ تركها الرجلان لتهدأ وحدها وذهبا للغرفة الأخرى متعكزين على بعضهما بعضًا. لم يقوَ ماجد على الحركة أكثر، وهَبَطَ عند مفرق الباب ماسكًا ذراعه، أما كامل فسار بضعة خطوات وتوقَّفَ أمام المدفأة محاولًا تدارك الصَّدمة والتركيز على ما هو قادمٌ، يُشاهِدُ في تفحُّصٍ وحرصٍ المكان والفريق .. بقيّته.

نادين تجلس ضامَّةً رجليها إلى صدرها ساندةً رأسها إلى جانب الأريكة تبكي .. ماجد يحاول لملمة أنفاسه المتلاحقة عند الباب، لافًا قطعة قماش قطعها من ملابسه لتضميد جرحه ووَقف للدماء .. سامح عند المعدات يجلس بجانبها مذهولًا ينظر للفراغ .. سحر منخرطة في بكاء هستيري تنظر ليديها المرتعشتين أكثر من جسدها الذي يهزُّ الأريكة .. كرم رأسه خارج النافذة المطلة على شرفة المكتب يفرغ ما في جوفه ...

مرت دقائق بدت دهرًا، بدأ فيها الفريق في الاستفاقة من نكبته – نوعًا ما –؛ نادين تمشي كالموتى، حيث الجميع، متخففة من كاميراتها التي تشعرها بثقلٍ جسيمٍ واضعة إياها فوق حَزِّ المدفأة، وسامح أتى بحقيبة الإسعافات لمساعدة صديقه في تطهير جرحه وعلاجه بشكلٍ سليمٍ، فاستلمت عنه سحر تلك المهمة بادئة بجهاز كشف السُّموم خاصتها للتأكد من نظافة دمائه وذهب هو ليعبثَ بالمعدات، أما كرم فبدأ يهدأُ قليلًا وأقام صلبه، ما إن لفَّ رأسه ناحيتهم انقبضت أحشاءه مرةً أخرى لرؤية دماء هادي التي تغطي كامل ونادين أمامه، فوقع

على ركبتيه مرة أخرى ملقيًا رأسه خارج النافذة مرتكزًا بيديه على الإفريز مفرغًا ما في جوفه - ما بقي فيه - بحُرقةٍ شديدة، وكامل يراقب الصبي المستكين مُعمًى عن كل شيء.

المشهد ملحميٌّ، كيوبيد يقفُ في الخارج فوق جبله متأهبًا رغم عَماهُ عن أي هدفٍ أو حدثٍ، يشاهد من خلف العُصابة على عينيه فتًى ملتاعًا شَهِدَ موتَ رفيقه، ليس هو أولهم أو آخرهم، فلقد وقف شاهدًا بالسمع عنهم وقبلهم بأزمنة...

يشاهدُه كتلة العضل بعينين زائغتين مُحاولًا التقاط أنفاسه المتقطعة بطعم ورائحة القيء، وتهدئةَ أعصابه التي تحترق؛ رؤيته بدأت تتضح شيئًا فشيئًا، أما رؤية القائد ثابتة لا يتحرك عليها إلا قطار تفكيره الذي لا ينقطع.

تفكيره يعرقل قدميه، الأفكار تتخبط في ثنايا عقله ككهرباءٍ لاذعة

"الدخول أسهل ما يكون، إنما الخروج...

الحديقة في أي مكان ستتسبب في هلاكك..."

كرم سارحٌ في ملكوتٍ خاصٍّ لا يتحركُ، كيوبيد شعرُه الجعد يلمعُ في تاجِ الشمس فوقَ رأسه؛ البقية منهمكون، منهكونَ.

"طفل صغير فارد ذراعيه...

تختفي من خلفه الشمس تدريجيًّا.. "

رأسه تغطيه الشمس المشرقة، و.. خيطٌ أحمر يتدفق من خلف العصابة ينسالُ على جبينِ الصبي"ساهر ..."

انطلقت الكلمة الأخيرة المبهمة على لسانه العالق ريثما مرت بذهنه، مُفيقة الجميع مع انطلاقته الجنونية المفاجئة، لكنَّ صرخةً عاتيةً أوقفتْهُ مُتجلدًا، صرخة ممتزجة بصوت قرقعة صارمةٍ وثابتة، لأعمدة برؤوس سهمية اندفعت من الإفريز مخترقة يد كرم، مثبتةً إياه أكثر بدورانها نصف دائرة لتُصدِر منه صرخة أقوى مع الدماء المتدفقة عليها منسالة عنها إلى الحائط.

الوضع استعر جنونًا مرةً أخرى بعد هدوئه، سحر بجانبه تصرخ كلما حاولت مُساعدتَه على التملُّصِ من الفخ الذي وقع به، وتوتُّرُه يزيد مع صرخاتها التي تزيد من بشاعة الموقف مع صرخاتِه كلما هَزَّ يديه لتخليص

نفسه، ودماؤه تنسال أكثرَ فأكثر؛ سامح وماجد أمسكا ذراعيه بقوة للسيطرة على هياجه مثبتين إياه، محاولين تخليص يديه من براثن سهام كيوبيد الملعون، لكن شيئًا لا يفلح، حتى تدويرهم لما كانوا عليه أضحى أمرًا مستحيلًا مع ارتجاجه الرهيب كلما أفلتوه ليكتشفوا حلًا.

قواه تخور، الألم لا يُحتملُ، الدماء مشتتة بين سيلها وبين تغذية مُخِّه، وفجأة... صارت السهام تنسحب مكان ما انطلقت عاصرة يديه جسده يتهاوى معها كلما انسحبت أكثر، حتى صار جاثيًا على ركبتيه؛ الصُّراخ المبهم يملأ الأجواء، الفتى يعوي ألمًا، الحلول تنحسر كالسهام، عيناه يريان هذي عقله...كيوبيد يبتسم له في لؤم بجانب وجهه...السِّهامُ تبدأ عصرها، صوت عظام يديه الغليظتين تتكسَر بطيئًا يخترق النفوس. صاح بهم في غضبٍ معتدلًا في وقفته، مُجمعًا قوتَه، ناظرًا في تحدٍّ مهووسٍ للتمثال؛ ثبت نفسه على الأرض، ثم أخذَ شهيقًا قويًّا مُغمضًا عينيه في لحظة صمت تامٍّ وتَرقُّب من الجميع، مع صوت كامل يرنُّ في أذنيه: "افعلها" و... أطلق صيحة عزيمة قوية، رافعًا يديه بكل ما أُوتيَ من قوةٍ وسرعةٍ، مُحررًا نفسه.

ضحكة متقطعة انطلقت من سحر ممتزجة بألمٍ معسولٍ لنجاة حبيبها المُصاب كليًا، الذي هوى على ركبتيه بعد ثوانٍ من صدمة النجاة، مُحملقًا في يديه المخترقتين اللتين يكاد يخترقهما زفيره مع بقية نفَس مَن في الغرفة. جرت العالمة نحوه مع حقيبة الإسعافات محتضنة إياه محاولةً تجبير وتضميد جراحه، وهو.. مُخدَّرٌ من الصدمة والألم لا يتحرك، ثابت كتمثال غير دارٍ بما حوله، غير واعٍ لحركتهم أو قولهم؛ لم يُفِقْ إلا عند تغطية كامل يديه بالضمادات على يد حبيبته، فنظر لها بنظرةٍ صافية، شاكرًا إياها، ثم قامَ متكئًا على ذراع سامح، دائرًا بنظرِه في الغرفة.

ما زال تحت تأثير الصدمة، هكذا دارت الجملة في ذهن نادين التي تعرف تلك النظرة الضبابية الثابتة، لم يُفِقْهُ أيُّ شيءٍ رغم تعامله الطبيعي، لكن إيقاعه كان غير الطبيعي. استدار في لحظةٍ ناحية النافذة بعينين صافيتين، بدأ يعبئهما غضبٌ انطلقَ على وجهه راسمًا عليه أعتى علامات الغضب، حتى أن العِرق فوق أنفه بدأ ينتفض غضبًا هو الآخر؛ وجرى في لمحةٍ إلى النافذة مُخرجًا كامل جسدِه، صائحًا بصوتٍ خارقٍ إلى كيوبيد "لن تقتلني ..

لا تستطيع .. لقد هزمتُك..."، ثم نظر للسماء محادثًا القصر فوقه "سنهزمك، أتسمعني؟ ستهـــــــــ...“

صوتُ قرقعة أكثر عنادًا من سابقه، قطع جملته ويديه المضمدتين ليهوي على ركبتيه في الحال، وقبل أي تفكيرٍ هوَت النافذة على رقبته كالمقصلة، قاطعةً الصوت والهواء عن المكان، تاركةً جسده يهوي في بطءٍ على الحائط، ينفجر من مكان رأسِه حمّام دماء، وذراعان تمسحان الحائط في بطء ينسال عنهما الدماء من مكان الساعدين بسرعة أكبر منهما على الحائط؛ في الخارج رأس يتدحرج على العشب، توقفَّ مستقرًّا عند سور ابن الآلهة، حيثُ زهرة اللوسين الضخمة التي تزينه كأنما ترضعها الدماء، وصوتٌ ضرَب المكان فجأةً كاسرًا الصمتَ والذُهول.

اتَّجَهَ ماجد من خلال سحر التي تعوي وتفرغ كل ما في جوفِها، والبقيةُ الذين هوى بعضهم تنهمر من عينيه الدموع والبعض الآخر حاملًا يديه فوق رأسه؛ يقتربُ من جسدِ رفيقه – المشوَّه – ناظرًا من خلال الطلاء الناري الذي يغطي النافذة، ليجد الماء مُتفجرًا في تدفُقٍ حارٍّ من النافورة.

عين رأت، شهدت؛ العين الوحيدة الساكنة بلا دموع، يُدميها ما شهدت حتى الآن .. العين القابعة فوق المدفأة.

"اذهبوا لتفتيش غرفة المكتب تلك ... حالًا"، صاح بهم البستوني بصوت صارمٍ فجأة، ليجدوا أنفسَهم جميعًا تحركوا كالمنومين مغناطيسيًّاً، هاربينَ من حقيقة الأمر، من جُبنهم، من شبح الموت المُخيِّمِ علىِ المكان ورائحته اللاذعة التي تكتمُ صدورَهم، وتجثم على أرواحهم المُعذَّبَة؛ فقط صبي الحانوتيَ مَن مكثَ في الغرفة، والفتاة التي تَعمل شاهدة القبر تثبتُ وتتحقَّقُ من كاميراها الثابتة والحرارية بالخارج حيثُ الباقون، ثم عادت لأخذ كاميراها لتنضمَّ إليهم في غُرفة المَكْتب، لامحةً أثناء خروجها مَشهدًا مُكرَّرًا لجثة مُغطاة يحملُها فتًى مُصابٍ يتحامَلُ على نفسه، وقائد مُلتاعٍ لفقدان فريقه ،أبنائه، الواحد تلو الآخر في غفوةٍ منه، ليُوضَع بجانب ابنه الآخر عند الثلج.

المشاعر تخترق الجدران الفاصلة بين الغرفة حيثُ عادوا لمحو آثار الموت – قدر الإمكان – والمكتب..

"هذا المكان يُسقطنا الواحد تلو الآخر، إن بقينا فسننتهي".

"لن نتركهم. لن نترك حقَّهم، وحقَّنا في البقاء"، "الهروب ضعفٌ، وأنا لن أستريح حتى أُفقِدَ ذلك المكان لعنته"،

"الوهم تعيشونه، لن أشارك في غبائكم"، "نحن وهبنا أنفسنا للقضية، لسنا فريق أفلام كارتون، كل واحد منكم يعرف منذ دخوله أننا نقامر بحياتنا"، الجملة الأخيرة أتت من عند الباب حيث ماجد الواقفِ ينظر لانهيارهم في غضبٍ مُكملًا حديثَه: "لن يبرح أحَد مكانه، مَن سقطوا منّا حقهم علينا أن نكمل. بِسنثأر لهم مهما يكلفْنا الأمرُ".

هنا تدخّل كامل لفضٍّ شِحنةَ العراك الهائمة بينهم: "أعلم أننا لم نخرج من أي مكان ناقصين فردًا، بل أنقذنا أناسًا كذلك، لكنَّ هذه المرة هي الأمَرُ على جميعنا"، همهماتُهم قاطعتُه فاستكملَ حديثَه بحزمٍ مُخرسًا الهمهمات: "هذا القصر أخذهم، وأعلمُ أن المعلومات لم تكن كافية عن المكان، لذا مَن يريد الاستسلام فليرحل، ليأخذ السيارة بالخارج ويعد؛ مَن يريد البقاء فليبق وليعلم أنني لن أستسلمَ للقصر أو للهرب".

كلماته الأخيرة أسكتَتْهُم وبقوا صامتين فترة؛ تلك هي لحظة 'نحن معك' ، 'لن نهرب' ، ... هذا الكليشيه الحماسي البغيض المحموم باندفاع الأدرينالين، وهو لا يريد ذلك، لا يريد تكملة المهمة والثأر بناء على لحظة تعاطف ودفعة أدرينالين و...صيحة مرح غير ملائمة للمشهد اندفعت من نادين التي تقف أمام المكتب بجانب درج مفتوح "ظهَر أخيرًا!"، نسي الكل قراراتهم والتفتوا في لحظة ليجدوها تُخرِجَ أوراقًا من جلدِ حيوانيٍّ تبدو كمخطوطاتٍ قديمة، من سحّاب سرِّيٍّ في سقف الدرج؛ وقفت تبتسمُ قائلة: "الجمال والبراعة هما سره بالفعل، سره القاتل"، قالت الجملة الأخيرة وعيناها تلمعان في تحدٍ، قاذفةً الورق على المكتب.

التفت الجميع حول المكتب يتفحصونَ الأوراق التي أعادوا ترتيبَها خلف بعضها البعض لتظهر كاملة، مرددين المكتوب بصوت عالٍ..

"مرحبًا في

قدر الأقدار

ملاذ الفار وهلاك الاستعمار

أتيت على عجل فأقيمك على وجلٍ

أقمتُ هنا الساعة مُقتحمًا الواحة

فلتنعم بالراحةِ فوق النار اللتاعةِ".

حالة صمتٍ منفردة سادت المكان، والكلُّ – مَن بقيَ منهم – ينظرونَ للعدم، لبعضهم البعض؛ البستوني يدور بنظره في المكان "هناك شيء ما ناقص"، هكذا تدور الفكرة في رأسه مع نظره، فأمسك بالأوراق السميكة معيدًا ترتيبَها خلف بعضها البعض في يده، فظهرت له إجابة الأحجية، بذرة إجابتها.

"ولّاعة"، قالها مادًّا ذراعه لتقعَ في يده في الحال، فأشعل الشمعة الحلزونية الراسخة في شمعدانها على المكتب، وقرّب الرُّزمة التي في يده منها – أمامها – ليظهر له ما كان يبحث عنه. الورقات الأربع في آخر كُلٍّ منها علامات مُتقطّعةٌ، تظهر له الآن مع بعضها البعض، لكن وسطها ناقص؛ نظر لهم ثم دار بنظره في الغرفة مرة أخرى، ليجده! الحُلية على الجدار فوق المكتب، تتطابق مع الشكل على الورق، هذا الشكل ما زال ينقصُه شيءٌ، ما هو؟ لا يعرف.

قلبوا المكتب رأسًا على عقبٍ بحثًا عن القطعة المفقودة، باحثين في كل شيء وشبر عن الجمال أو القُبْحِ، حتى وقفَ القائد على كرسي المكتب الخشبي المكسو بالحرير الوبري، يتفقَّدُ بيده تلك الحلية المزخرفة حتى سمعوا صوتًا أوقفهم جميعًا.

القطعة الناقصة – على الورق – انفتح تحتها، فمَدَّ يده ليُخرج ورقةً من المجرى الذي انفتحَ، من نفس النوع ملفوفةً حول بعضها البعض؛ فكَّها أثناء نزوله عن الكرسي بدون انتباهٍ، فاهتزَّ فجأةً تحت رجليه، لينقذه سامح من السُّقوط على الشمعة الأخرى المُطفأة، التي تقف بكبرياءٍ وضخامة، يراها مُكبَّرة عشرة أضعافَ أمام عينيه.

سحبه الفتيان وأنزلاه على رجليه مرةً أخرى، فأكمل قراءة انقطعت قبل بدئها، قبل أن يربت على كتفيهما كإيماءة شكر:

"كــتــابــي
قـــــدر الأقـــــدار"

القطعة الأخيرة من البداية؛ هكذا تبدأ رحلة أخرى، رحلة البحث عن قدر الأقدار لتكملته، فتلك القطع

ترسُمُ رمزًا، رمزًا ناقصًا، سيحكي كل شيء، سيكشف الحقيقة .. سيعيد النصر لدماء تتساقط وما زالت حارة.

"العلّية" خرجت من سامح الكلمة ليأتيه الردُّ الطبيعي "ماذا؟!"؛ إنه الحَلُّ الذي توصَّلَ إليه، أمسك الأوراق مُقلبًا إياها مرات، ناظرًا لتكملة الرمز الذي هبط من عليّ، ثم أخذ كاميرا نادين الشخصية وشرع في التقاط الصور لذلك الرمز، ثم توجَّهَ وحده لغرفة الاستقبال - فتبعه البقيّةُ - وجلس على الأريكة، ساحبًا الصور التي التقطها إلى الكمبيوتر خاصته، باحثًا في كل مُحركات البحث عن أي معلومة أو تكملة للصورة - للشعار - لمعرفة أصوله أو حكايته، لكنه لم يجد شيئًا.

"حتى الآن لا شيء، لكنه هَبَطَ علينا من الأعلى، لذا فلنبحث في الأعلى، تحت السقف .. العلّية"، إيمانه بوجود شيء هناك يخيفه، يرعبُه، فانتفض من مجلسه ناظرًا في عين قائده الذي رأى فيها الموافقة. قذف الكاميرا إلى نادين، أعقبها بجهازها الصغير، شاحن كاميراتها - المحمولة على كتفها - اللاسلكي فأوصلته مثبتةً إياه على الشريط الحامل للكاميرا؛ وقفوا على حدود الغرفة متأهبين، من الناحيتين. سحر يفتكُ بها القلق، فهي تكْرَهُ

تلك الأماكن، لكن الثأر لحبيبها يعميها عن أي قلقٍ أو ارتباك.

لحظة سكون قصيرة مَرَّتْ، تلا فيها الجميع صلواتِهم في صمتهم، فترة تجدد الحياة وتدفقها بهم، فترة سريان قوة الانتقام لهؤلاء الملقين على الثلج يبكون دمًا لم يبرد من أجسادِهم الهامدة؛

إنها لحظة قدر الأقدار.

عملية البحث عن العلية بدأت، لذا توجهوا في صمت محمَّل بالإصرار إلى ڤينوس اللعينة يصعدون عن جانبيها الدرجات في ترقُّبٍ، متحاشين النظر قَدْرَ الإمكان يسارهم حيث الجهاز وأشباح أصدقائهم، حتى وصلوا للأعلى.

تجمعوا يتفقدون المكان يمينًا ويسارًا؛ على الحائط – أمامهم – لوحة زيتية لمعركةٍ بحرية فوق شمعدان على هيئة شِراعٍ يقِفُ فوق منضدة بعرض اللوحة. انقسموا فريقين حسب إشارة كامل لتفقُّدِ الغرف والأماكن حول مقصورة الساحة البيضاء الناصعة، يتخيلها البستوني من موقعه ناظرًا حوله وأسفله تعجُّ بالبشر؛ نبلاء، أميرات، كبار الدول، حتى الصعاليك في ثيابٍ نظيفةٍ، مشتتين

جميعهم، مترامين في كل حدبٍ وصوبٍ. يضحكون ويشربون، يتهامسون ويصمتون، يستمعون ويستمتعون، يرقصون في الساحة بكلٍّ أناقةٍ، ويشاهدُهم بعضُ الناظرين والمشاهدين في المقصورة العليا، يتمايلون على أنغام فرقة تقفُ حول السلم، تشدو مغنيّتها بصوتٍ عَذْبٍ يأسِرُ لُبَّ الموجودين والمستمعين، تَردُّدُها ينصهر مع موسيقى الفرقة كأنه سلم موسيقي جديد يُخْلَقُ في هواء المكان، يتنفسُه الجميع...

"لا شيء"، صوتٌ بَشِعٌ اخترق عبير السلم الموسيقي العذب بأذنه، أضاع الروعة في لحة، أعاده إلى أرض الحقيقة حيث انزعج ماجد يفتح فاه مرة أخرى، فوضع أصابعه عليه قائلًا: "اخرس لوهلة، دمرت اللحظة"، ثم ضَحِكَ بملءِ فيه على خرفه وأشار له بالمتابعة: "لا شيء..." لم يتمَّها حتى ضحك الجميع مرةً واحدة في لحظةٍ صافية تتسحب من أبواب الألم الواقع بقلوبهم، وهو معهم.

رأى القائد على شاشة الكاميرا كل شيء بعد فقرة الضحك ليطمئن، فالغرف ليست بالكثيرة هنا، وكلها تبدو كغرفِ معيشةٍ أو غرفٍ للضيوف، مع حمّام صغير في

الجهة اليُسرى التُقط به ماجد - من الجهة المقابلة - يتسلل ليقضي حاجته واقفًا، لتبدأ فقرة ضحك ثانية عليه، أنهاها كامل بإشارة للجزء الأيمن من جانب الحائط ليبدؤوا منه.

"حمّام! ثانيةً؟" قالها ماجد مازحًا عند فتحهم للغرفة التي تتوسَّطُ البهوَ، هذه المرة غرفة واسعة للغاية، أمام بابها ملتصقًا بالحائط حوض استحمام آسيوي الطراز يقفُ على أرجُل مُذهَّبة، يعلوه فُتحةٌ هي نافذة مُغلقةٌ تعلو الإفريز الزجاجي المعتم الذي يبدأ من حدود الحوض، أما بقيّته - الحمّام - فعلى نفس الطراز الآسيوي الذي يظهر بوضوح في الأرفف الخشبية المزخرفة بجانب الحوض المعلَّق طائرًا.

لَمْحَةٌ مرت بذهن سحر فيها كلمة Argania Spinosa ، انقطعت بصوت نادين التي صاحت بقوة: "ها هي!"؛ التفتوا جميعهم ليجدوا بابًا ضيّقًا ينفتح ببطءٍ خلفهم مباشرةً، خلفه وسع يروا ملامحه من خلال عتمته الضعيفة، تحوي سلمًا خشبيًّا صاعدًا للسَّقفِ المغلق. "قطعًا يجب أن تكون عنده" قالها كامل الذي عقد ذراعيه مُحملقًا في الغرفة الغريبة الهادئة، ثم أكمل محادثًا نفسَه:

"النظافة والرونق هما الأساس، لا يمكن صعود مكانٍ مهجورٍ كالعلية بدون توافر النظافة بعده"، ثم نظر لنادين التي بدأت في الحديث -لاعتراف- من تلقاء نفسها: "تلك المنضدة الصغيرة الفارغة استوقفتني، لا يوجد بالمكان كله شيء شاذٌّ أو فارغ من تلقاء نفسه دون الحاجة الفنية لفراغه، حاولت تحريكَها فانفتح ذلك الباب من تلقاء نفسه".

الأفكار تدور في رأس الواقفين بلا حراك كدوامات، نادين تتحرك بداخلها مشاعر متضاربة تجاه الموقف، فآخر مرة انفتح فيها بابٌ سَرِّيٌّ أُخِذَ فردٌ منهم، سحر بجانبها تتملَّكُها رجفةٌ مستترة مع شحنة غضبٍ مفاجئة، وكامل دخل وحده مع كشاف كهربي يتفقد الغرفة، فاستوقفه ماجد الذي أراد الدخول قَبْلَه للتأمين، فانطلقت جملتُه الشهيرةُ: "القائد الذي يقف في المؤخرة يُطعَن في المؤخرة"، وأكمل تفقُّدَه للمكان الخالي تمامًا إلا من سُلَّمٍ، ثم أشار لهم بالاستعداد للصعود.

صعدوا الدرجات الخشبية تباعًا خلف القائد الذي رفع غطاء السقف، موقفًا الصاعدين برهةً حتى يتفقد المكان برأسه الذي يتحرَّكُ كالبوم، ثم تبعها جسدُه وباقي

الفريق؛ يقفون متأهبين حذرين من أي لقطة غدرٍ قد تصدر من القصر تجاههم، خاصة في تلك البقعة المُريبة منه.

العلّية دائمًا مريبة، إنها موضع الحزين والأسرار المخزونة والمدفونة في السماء، وتلك أمهرهم، فتصميمها مريب بدءًا من اتساعها وعلوها، حيث يمكنك الوقوف كاملًا فاردًا ذراعيك أعلاهما، كذلك مدخلها الصغير، مرورًا بترتيبها المنمق رغم هجرها وتركها مرتعًا لخيوط تلك الكائنات الصغيرة الدقيقة في عملها؛ أما الأغرب، الإضاءة الجيدة لها التي تغمُرُها من نافذتها الدائرية - الوحيدة —وسط مثلث السقف، رغم تلويح النهار بالمغادرة.

"ابحثوا في كل شيءٍ لنمسك أيَّ خيطٍ عن أصله أو أصحابه" قالها كاملٌ الذي يدرك في قَرارة نفسه أن وجود أثر هو مَحضُ خيالٍ ودربٌ من الخَرَف، لكن لا مانع من التجربة، أما عن وِجهته فهو يعرفُها جيدًا، تلك الطاولة التي يقفُ عند حدودها خط الضوء، لكنه آثَر الانتظار قليلًا لمراقبة الفريق، فحدسُه يقلقُه تجاهَهُم؛ يشاهِدُهم ينقّبونَ في الصناديق المركونة بنظام، متابعًا كل

ما يخرجونه بحرص. ينقبون عن الآثار، هذا بالفعل ما يقومون به، فكلُّ ما يخرج هو مُقتنياتٌ ثمينة وقديمة ، ما بين أوانٍ وكؤوسٍ وأنتيكات أصيلة و... صرخة من سحر أوقفت سريان الدم في عروقه لحظةً، أعادها للسريان ضحكةٌ رقيقةٌ صدرت منها كذلك، مع ماجد بجانبها يبتسم وهو يسحقُ إحدى تلك الكائنات المزعجة التي قفزت عليها من صندوق فتحته؛ ضحكتها لم تُخف رعشتَها الجلية للعين، سألها كامل: هل بها شيءٌ؟ فردت عليه سلبًا بإشارةٍ من رأسها، ثم عادت للتكلم بعد أن تركت صندوقًا كانت تشرعُ في فتحه قائلة: "آسفة، أعصابي ليست على ما يُرامُ. هل تعفيني من هذا؟ سأذهبُ للأسفل لحظةً ثم أعودُ"، سَكَتَ مُفكرًا فاستعطفته بصوت أقلقه أكثر، فأشار لها إيجابًا وهو يُحرِّرُ زفيرًا قلقًا، ثم نظرً لماجد قائلًا: "رافقها، لا يمكن تركها وحدها، يكفيك تحامُلًا على ذراعك".

"كيف أتركُكَ؟ فهنا أخطر" قالها الفتى لقائده بنظرةٍ ذاتَ مَغزًى، وقبل أن ينطق تطوع سامح للحاق بالفتاة التي قد نزلت مسبقًا. وقف كامل وهلةً صامتًا يحاول الاستماع لما يدور بالأسفل ثم وجّه نظره لماجد ليعاتبَهُ،

فتكلَّمَ الفتى من تلقاء نفسه: "لا أريدُ تعقيدات لموقف مُنته، كما أني لا أستطيعُ تركَكِ ونحن بصدد مواجهة لعنة إنْ صَحَّ كلامُ سامح". نظرات نادين خلفه تحرقُه، لكنها فضّلت تكملةَ البحث عن أيِّ دليلٍ عن القصر لإلهاء نفسِها رغم ارتياحها بعض الشيء، والتسريع من لحظة كشف الطاولة حتى نطقت أخيرًا: "لا شيء على الإطلاق، لا صور، لا دلائل، لا ملابس تحمل الشعار، لا شيء. كلها أساسيات مترلية وأنتيكات".

الموضوع غير منطقيٍّ، فالمكانُ كلُّه ليس به صورة وحيدة لأصحابه أو أبنائه كأيِّ مكان آخر؛ هم لم يفتشوا غرف الدور الأول، لكنَّ كل ما تَم تفتيشه خاصةً في الجزء الخاص والخصوصي إلى الآن لا يحمل شيئًا، حتى تلك العلّية اللعينة ليس بها صورة كأيِّ قصرٍ أو مترلٍ يحترمُ نفسَه، أو مُخططٍ للمكان كأيِّ قصرٍ يحترمُ نفسَه فعليًّا.

التفتَ فجأةً ناحية الطاولة مقتربًا منها حثيثًا وخلفه الاثنان المتبقيان معه؛ الطاولة من خشب الزان مطعمة بعروق من الحديد الزهر. اقتربت نادين خلف كامل مُضيئةً مَصباح كاميراها (الفلاش) ليأكل ضوؤها العتمة

بطيئًا و... صوت سامح أفزع الجميع فجأة. صعد متأسفًا لإفزاعهم بتلك الطريقة قائلًا: "إنها تفقد صوابَها، لقد فتحت الغرفة المجاورة للحمّام ودخلت تنقّبُ عن شيءٍ لمحته منذ قليل أثناء تفقُد الغرف، فتبعتها لأراها تأخذ عبوةً صغيرة بفرحةٍ عارمة، قالت لي إنه زيتُ لوز البربر؛ لوز تلك الشجرة الغبية التي قطعت جزءًا منها"، قاطعه ماجد:"أحدث شيء؟"، فأشار برأسه أنه لا، ثم أكمل حديثه: "قالت إنها تريدُ الاستحمامَ، فهذا سيريحُها بعض الشيءِ، ويساعدُها على التفكير والتَّصرُّف بشكلٍ أفضل ويعيدُ نشاطَها"، "سأذهبُ لتفقُّدها" قالتها نادين متأهبةً للهبوط إلى صديقتها للتخفيف عنها، فاستوقفَها ماجد قائلًا: "لا تقلقي"، همّت الفتاةُ بالصُّراخِ في وجهِه، فأكمل حديثَه الذي هدَّأها.

مَرَّت ثوانٍ قبل الالتفات لمقصدهم، واقتربوا من الطاولة مرةً أخرى بطيئًا كاشفين محتوياتها بالمصباح الذي أُعيد تشغيلُه؛ سرير وسير هي، بتلك الخيوط الحريرية الرقيقة ذات اللون الأبيض الباهت التي تركتها أرملة سوداء على كل شيء بها، تبدو كستارٍ ينسدلُ بدءًا من أعلى نقطةٍ عليها، من الشمعدان الذي يقع على حافّتِها

المُلاصقة للجدار، ظاهرًا كشبحٍ بين الضباب. كَفٌّ معدنية تخترق سبابته ووُسطاه وبنصره شموع حلزونية الهيئة، وما يشبه كتاب يتوسط سريره مختفيًا تحت خيوط العنكبوت.

أزالوا ستار السرير مُقطعين إياه بأيديهم ليظهر كل شيء بوضوحٍ، وضوح أرجف القائد لأول مرة منذ بدؤوا لعبتهم مع القصر، رجفة لم تسرِ في جسده منذ عقود، رجفة أطلَقته للخلف بضعةَ خطوات من الصدمة. نظر مرة أخرى مُدقِّقًا ثم التفت لفريقه قائلًا: "اتركوني وحدي، اذهبوا للاطمئنان على سحر، من الغباء بقاء أحدنا وحيدًا في ذلك المكان" حاولت نادين التحدُّثَ، لكن ماجد أسكتَها بإشارةٍ خفية، ليجد سامح يتحدَّثَ فجُنَّ جُنونُ كامل صارخًا بهم: "اذهبوا!". رؤيتهم لحالة قائدهم وحزمه الشديد المفاجئ ونبرته أرعبتهم، فقام سامح بالانسحاب، خلفه نادين التي تتردد رجلاها، لكنها نزلت معه في النهاية، وتبقّى ماجد الذي يرى الانكسار المفاجئ في عين أبيه الروحي، غير قادر على المغادرة؛ "أنقذهم.. أنقذها .. سأتعامل مع هذا وحدي". نظر له الفتى وبدأت شفتاهُ في التحرُّكِ، لكنَّ صوتًا لَفَتَ

انتباهَهُم، إنها نادين، عادت مرة أخرى، تحدِّثهم وهي صاعدة أثناء تحرُّك ماجد ناحية المخرج: "لا تقلقوا، إنها بخير، تأخذ (شاور) تلك الـــــــ... "

هزَّةٌ أرضيةٌ ضربت المكان فجأةً، اهتزت على إثرها الفتاة ليختلَّ توازُنها بعدما صعد نصفُها العلويُّ، لتقع منها كاميراتها في الأعلى، وتقع هي بين ذراعي سامح الذي التقفها مُنقذًا إياها. فترة سكون وترقُّبٍ قصيرةٍ مَرَّت على القصر وسكانه؛ سحر في حوض الاستحمام تنظر للباب، سامح ونادين ينظر أحدهما لباب الحمّام والآخر لفتحة العلية، ماجد الواقع على الأرض وكامل الواقف مكانه ينظران للطاولة والكف المهيبة ... في لحظةٍ انغلقت كل الأبواب وأوصدت كأنها التحمت في إطاراتها.

إنه الفخ، إنه قدرهم، قدرهم الذي يطارِدُهم، ذلك الذي يعرف واحدٌ فقط سبيلَ محايلتِه ويقف متجمدًا أمامه.

ماجد يقف وفي ذهنه يدورُ سؤالٌ أبديٌّ: "هل هو ذلك نفسه؟" التقط استعجابه الاستفهامي كامل الذي وقف أمام المنضدة، متمسكًا بطرفيها يعتصرهما بين راحتيه مجيبًا ودمعة تفرُّ من عينه: "هي.. هي لعبة موتي،

إنه يريدني هذه المرة .. وبقوة"، سكت برهةً، ثم عاود حديثه ناظرًا للفتى: "أول مرة التقيتُ هادي كان حينها .. عدني بأن تنتقم لنا جميعًا ... فقط عِدني"، رَدَّ الفتى بكل قسوة: "أعدك أن أموت بشرف أو أعيش وبقيتنا أحياء".

عاد بنظرِه مرةً أخرى له .. لهم؛ رزمة الأوراق الجلدية الخالية التي تنتظره راسخة مكانها، متمسكة ببعضها البعض عن طريق 'الحاكم'، نعم، هو ذلك المشبك قوطي الطراز فرعوني الأصل! هو مرة أخرى؛ أتى ليأخذه مرةً أخرى وأخيرة. يقف شامخًا حاكمًا بقوة على أوراقه الفارغة التي تنتظر الارتواء بروحك، يلمع بقوة في العتمة المشوشة من ضوء الكشاف الذي هوى بعيدًا مع كاميراته التي تسجِّلُ كُلَّ حدثٍ.

الحَلُّ بعيد المنال حاليًا، فلقد حَبَسَهم بداخله وفرّقهم، فرقه هو عنهم وعَزَلَه عن حقيبتِه التي تحوي بداخلها الخلاصَ من اللعنة التي تعترض طريقِهم؛ عُزل عنه مشبكه المخلّص، المشبك الأليف حاليًا – كما يحب أن يقولها لصديقه – الذي يمكنه سحب لعنة ذلك ... هذا القصر يعرف الكثير.

هذه المرة إما يُحيى أو يُقتل، سيمسكه بالطريقة الصحيحة. اقترب بكفّه منه، لكنَّ شيئًا استوقفه .. هناك ورقة ناقصة، يعرف ذلك لأن بقيتها يراها متعلقة بالمشبك، والحل هو البداية! أخرجَ كتابَ القصر – أوراقه – لتقع عينه عليها فورًا؛ أول ورقة من الكتاب، الورقة التي هبطت من أعلى أرشدهم للأعلى، يراها جيدًا، منتصفُها العلويُّ ناقصٌ .. مَقطوعٌ.

أمسك بها وقرّبها في حذر من بقيتها لتجميعها صحيحة .. هزَّةٌ خفيفة سرت في المكان .. وضع يدَهُ الأخرى على المشبك بطيئًا، مقرّبًا بدايات عُقل أصابعه – من راحته – من الأطرافِ الثلاثةِ الخارجة من رأس المشبك، لتنغرسَ تحت جلده.

ماجد ينظر في رهبة، يشاهدُ في رُعبٍ .. القائد تخورُ قواه .. رفع رأسه للسماء .. القصر يرتجِفُ بقوَّةٍ في لَذّة..انفتحت عيناه و.. صرخة عاتيةٌ من قاعِ أرض النار والكبريت...

● ❖ ●

سحر وسط المياه في حوض الاستحمام تنظر للباب في رِيبةٍ هادئةً، مُحاولةً التقاطَ أيَّ صوتٍ أو إشارةٍ من

الباقين وسط تلك الهزَّة المفاجئة، لكن لا شيء؛ ظَلَّت وهلةً – بعدها – مُعلَّقةً بصرَها وحواسَّها ناحية الخارج الذي لا تَراهُ، لكنها نفس النتيجة وذات الهدوء. لا أصوات، لا نداءات سخيفة تقاطعُها، الباقونَ في الأعلى مع صناديقهم وطاولاتِهم وعناكبِهم المُستفزَّة، وهي ستنتهي من الاستحمام لملاقاتهم، فالمياهُ خلابةٌ، وصوت تدفُّقِها وتموُّجِها يُنعشُ كُلَّ خليةٍ في الجسد، ووَقْعُها كالسِّحْرِ مع زيوتها ومرطباتها النادرة ... ستخرج من هُنا وستأخذ أغلى التذكارات من تلك التجربة، مع أقبَحِها وأمرِّها التي عاشتها إلى الآن، وعَقلُها يرفض تصديقَها.

مُحتبسين في غرفة العلّية في الجهة المقابلة من الرُّدهة، يصرخون على صديقتِهم المعزولة في ملكوتها أو قُل محاكي القصر للعزل، ويصيحون نداءً على مَن بالأعلى محتبسين في غرفة الأسرار؛ يحاولون بكل إصرار كسر البوابة الخفيّة لإنقاذها لكن بلا جدوى، كذلك فتحة العلية لا تنفتح أو تنكسر. لا يوجد ما يرعبهم أو يحاول قتلهم، وهذا في حَدِّ ذاته مُرعبٌ أكثر! لكنَّ الفراغَ هو ما يأكلُهم دون دِراية، يأكلَ وعيَهم؛ الأكسجين الذي يتبدَّدُ من موضعهم، استهلاكه هو هلاكُهم.

حوضُ الاستحمام يهتزُّ خفيفًا تحت جسدها الممدد، لم تُعرْهُ اهتمامًا، فجسدُها يناديها بالراحة، وأعصابُها تدعوها بالاسترخاء. توقَّفت الهزَّةُ، فتوقَّفت معها المياهُ لحظةً قطعت فيها مُتعتَها، ثم عادت للتدفُّقِ تلقائيًّا بانتظامٍ لطيفٍ يزيد من سحْرِها.

أكملت استمتاعَها بالمياه الغنية حتى ضربت المكان فجأة هِزَّةٌ قويةٌ مُريعةٌ، هِزَّةٌ زلزلَت كلَّ شيء؛ المياهُ الخلابة صارت جحيمًا مُفاجئًا، ينشوي جسدُها منه. اللسعةُ الحارقةُ أفاقتها من خَدَرِها؛ فقفزت خارج الحوض في حركةٍ سريعةٍ رشيقة ليتساقطَ عن جسدها اللامع من المرطبات الطبيعيةِ القطرات اللامعة ببخارِها.

تحاولُ بقوةٍ فتح الباب الذي لا ينفتحُ أمامَ ضرباتِها الضعيفة ومحاولاتِها الواهنةِ، المكانُ يُعبئُه البخارُ الحارقُ الخانقُ الذي يُعبثُ معها.

الاثنان المحتبسان في الوسط يحاولان بكلِّ قوةٍ وعزمٍ إيجادَ أيَّ مخرجٍ أو مَفَرٍّ...

الصرخة تملأ الهواء الذي يتنفَّسُه الجميع .. الذي يتنفسه المكان..

تتلفت يمينًا ويسارًا، تدور بنظرها في المكان كله، هالكةٌ هي لا محالة؛ حتى أتتها النجدةُ من السماء، ثبتتها. تقفُ بجسدها العاري المتلألئ وعليه آثارُ الماء الحارق التي بدأت تظهر على جلدها الطفولي، ثابتة النظر على تلك النافذة الصغيرة -نسبيًّا- التي تعلو حوضَ الاستحمام المستعر بالمياه ذات اللون والرائحة الغريبة، التي تعرف رائحتَها جيدًا، رائحة مميتة تتغللُ بخلاياها. أخذت استعدادها، ارتدت نصفَ ملابسها، وجهتها المخرج .. هذا هو الحلُّ الوحيد.

● ❖ ●

كفه كالشمعدان على المشبك، صُراخه لا يَكُفُّ، ولا يكفي ألمه. الورقة التأمت جراحها بجراحه، وأضحت سليمة؛ الدماء تنسحب من يده مُتدفقةً على ذلك الشيء المستمتع بطعم ورائحة الدماء، المتلذذ بمذاق العذاب، يمتصُّ مَشروبَه في نَهَمٍ، راويًا ظمأه وظمأ أوراقه اللعينة التي تتشرَّبه.

الكلمات تظهر بوضوحٍ أقوى: "كتابي .. قدر الأقدار"، لا يرى بوضوحٍ، لكنه يعرف أن باقي الأوراق تستمتع أكثر وأكثر بدمائه التي تتشربها وتتشبع بها

وتتشكلُ معها .. الشمع يستحيلُ لونُه للأحمر شيئًا فشيئًا، كأنها سُحُبٌ تسبح في ملكوتِه، سُحُبٌ ذات لونٍ أحمر دموي بشع يَشعَ.

ماجد يقف عاجزًا أمام أبيه الذي وقع على ركبتيه من فرط الألم، ويدُه متعلقة – ما زالت – بذلك الشيء اللعين يمتصُّ حياتَه وروحَه ببطء، وله القصر يهتزُّ نشوةً مُزلزلةً. الأفكار تنضُبُ وهُرُبُ منه، عيناه لا تريان جيدًا من الزلزلة التي ترجُّ كيانه وتوازنه؛ أغمض عينيه محاولًا التركيز و...

الاثنان يقفان عاجزان، أحدهما تهزُّه رجفةُ الموت البطيء الذي يستمتع بشفط الروح منه، والآخر لا يعرف حلًّا، يرتجفُ رُعبًا مّما يشهدُ؛ أمسك ذراع صديقه محاولًا تخليصَه، مُردِّدًا ما يقرأ على البردية التي أرشدتهم للمكان:
"كَفُّ القدر تتقاطَعُ عند أرضية المسلة مدفوعةً بروح أنوبيس لمرءِ جوهرة التاج".

تمسُّكه بذراع صديقه بقوةٍ مع رجفتِه وتصلُّبه، جعلت أصابعه تنسحب حتى بدايةِ كَفِّه منغرسةً أكثر في

براثن المشبك، جاعلة الدماء تتساقط أسرع وبغزارةٍ أكثر.

فتح عينيه في غضبٍ متقدمًا ناحية الرجل الذي كَفَّ عن الصُّراخِ، ويئنُّ فيً مرارةٍ، متحاملًا بكل مثابرةٍ وجَلَدٍ..

"تحيا عندها الحيوات

يتفرق عنها الحبيبات"

سَحَبَ خنجرًا من حقيبته استعدادًا لُملاقاةِ ما لا يعلم

متوجهًا لتخليص قائدِه، تخليصِه من عذابه الذي طال، بخطًى ثابتة..

"اترك ياقوتك عند باب السماء

فالليلة لا وجود للخلان

دموعك لن يعيدها إلا أحباء

عاهدوا إيزيس بأصدق المعان

طرقت الباب فأجبتك على عجلة

اليوم تأتيني عائدَ الأدراج".

شَقَّ بالنَّصْلِ ساعدَه واضعًا إياه فوق يد صديقه، فانهمرت الدماءُ منه تنسالُ على أصابع صديقه في الشَّرَكِ الذي يمتصُّ دماءهما معًا في نَهَمٍ أكبر و...

شاشة بيضاء مرت بذاكرته، أعادته مرةً أخرى لمن حكاها، فوضع يدَه في جيبه لكنه لم يجده؛ خنجره الذي أخذه قبل الصعود.

لن يتركه هكذا، لن يتركَ أباه..

ينظر إلى ما أخرجوه من الصناديق والذي تحطَّمَ بعضُه ناظرًا إلى يده في ذاتِ الوَقت .. الزلزلة تشتدُّ .. محاولاتُه للصمود والوصول تفشلُ، تبعدُه فقط أكثر عن كامل.. أغمض عينيه وهلةً ناظرًا بعقله للأوراق، ثم فتحهما في شَرٍّ ناظرًا للشمع المرتوي ظمأً ويتحرك في بطءٍ ناحية قائده ثم...بقوةٍ عاتيةٍ هَوَى بكفِّه على كَفٍّ كامل المحتبس، ليخترقَ المشبكَ كلتا اليدين في صرخةٍ عاتيةٍ انطلقت بوحشيةٍ مُمتزجة الترددات منهما في آنٍ واحد، لتتدفَّقَ الدماءُ المختلطةُ أنهارًا على المشبك والأوراق والطاولة، حتى اشتعلت الشموع من تلقاءِ نفسها في انفجارٍ مُدوٍّ، وسكت كل شيءٍ فجأةً .. القصر كَفَّ عن زَلْزَلَتِه تمامًا .. وسقط الاثنان هامدين على أرضية العلّية.

مرت دقائق على السكون الذي يأكلُ الجميع، الاثنان في الأسفل يقتلهما الخوفُ والقلقُ بعد كل هذه الصرخات الشيطانية، ليقفا متسمرين أماكنهما في انتظار لحظتهما، سحر تصلّبت أعصابها مع توقُّف القصر مع محاولة التّماسُك والتمسُّك بالنافذة، مع القلق الذي يمنعُها عن إخراج جسدِها المُثْقَلِ بالحرارة.

الروحُ دَبَّتْ في الأعلى مرةً أخرى بفتح الاثنين أعينهما في نفس اللحظة؛ نظرا لبعضهم بعضًا في تعجُّبٍ وترحيب، ورفعا أعينهما للسقف يقهقهان في مرحٍ جامح، ثُم ساعدا بعضهما البعض على النهوض صائحين للمحتبسين أسفلهما: "بخير .. كلُّ شيءٍ بخير". حاولا تضميد جراح بعضهما البعض، ووقف بعضٌ من الترف بقطع اقتطعاها من ملابسهما، ووقف كامل ينظر ليده المصابة، يرى فيهما نفسه وسط المقبرة في الخط الذي كان يشقُّ أصابعَه من نصفها حتى كَفِّه، الآن يرى خلاصَهُ للمرة الثانية في قطعة اللحم المقطوعة عرضيًّا، يملؤها عصيرَ رُوحِه، تختفي شيئًا فشيئًا خلف الضمادات، ويرى على ملابسه آثار وجوه أحبَّهم.

سحبا الأوراق بمشبكها وذهبا لسحب فُتحة العلية التي انفتحت بسهولةٍ ويُسرٍ هذه المرة، أول ما انفتحت

انفتح معها الباب السِّرِّيُّ خاصتها، مع زفيرٍ مُحمَّلٍ بالانفراج ممَن كانوا قد قاربوا على الاختناق، وكذلك انفتحت وجوهُهم التي بدأ يعود الدم إلى تدفقه السليم بهم. انفرجت أساريرهم فجأة، كأنما أشرقت الشمس في وجوههم بعد كبت وعبوس، صاحت نادين مدمعة في فرح لرؤيتهما سالمينِ معًا، كما هم سالمون؛ لم يريدوا جميعهم الإطالة، فهناك فرد ما زال ينقصهم، فترل الرجلانِ، ولم ينس ماجد سحب كاميرا نادين معه.

"أنت مصمم على بهدلة حالك اليوم"، قالتها الفتاة مازحةً مع ماجد في حنانٍ مُستَندةً إياه للهبوط، فربت على كتفهِ ويديه المربوطتين - المكفنتين - ملقيًا دعابة على نفسه كعادته، ثم سأل عن المفقودة في حمّامها. توجهوا يطرقون بابها ليسمعوا صُراخًا آتيًا من الداخل، صراخًا هِستيريًّا تردَّدَ ما إن طرقوا الباب؛ حاولوا فتح الباب لكن بلا جدوى، أشار لهم سامح بالتقهقر، وظل يركل الباب بكل ما أوتيَ من قوة ليهبط قطعة واحدةً هامدة بعد الركلة الرابعة. ما إن هوى، رأوا الفتاة مُتعلقةً بالنافذة، تصرخ بهم وسط البخار المنبعث":

"أبعدوهم .. أبعدوهم عني".

العناكب تتدفق من فُتحة النافذة جيوش لا تنتهي، مُنطلقة بخفتِها وسُرعتِها ورشاقتها على الحائط وعليها؛ "ابعدوا..."

● ● ● ●

نور ضرب في الحائط فجأة لتظهر هيئة لعينة لها أرجل كثيرة تتقدم منها في بطء و... اختفت؛ لكنَّ لدغة حارقة بقيت على ساعدها، جعلتها تصرخُ ألمًا في هيستريا من الصدمة مع ظهور الشكل مرةً أخرى الذي اختفى بإنارة الغرفة فجأةً. هرع إليها أبواها مفزوعين ليجداها متمسكة بقوة بساعدها وتنظر في تيهٍ إلى السقفِ ولا تكفُّ عن البكاء.

السقف هو سبب ظهور ذلك الوحش الذي كاد يلتهمُها؛ إنه اليوم الأول لها مع هديتها الرقيقة التي فاجأها بها والدها، فعلى سقف غرفتِها مرسوم – مطلي – سماء خلابة لحكاية أحبتها منذ المهد، وهذا الصباح دخلت لتجد والدها يزينه بنجوم وشهب وكواكب فسفورية أدهشها روعتها وجمالها عندما انطفأت الأنوارُ، سُحِرت الطفلة بسمائها المنيرة في لحظة، وقفزت فرحًا في حضن أبيها، أما الليلة فهي تلعنُها ولا تكفُّ عن لعنها،

فها هو يومها الأول، وجلبت وحوشها لتقضي عليها. كلما تقلّبت على حَدِّها يظهرُ لها ذاتُ الكائن فجأة من العدم، منيرًا على الحائط يتقدَّمُ منها و... "ابعد...".

● ● ● ●

لم تُكملْ جُملتَها، قفزت إحدى تلك الوحوش الصغيرة مُلتصقةً بوجهِها، لتصرخ في هيستريا مع جسدها المترنِّح في الهواء، كأنما تزلزله قوًى أعلى منها، وتفلت يداها المتشبثتان لتهوى صارخة صرخة مؤلمة من قُوَّتِها، صرخةٌ انطلقت وسكتت فجأة؛ سكتت وما زال صداها يرنو في المكان.

الصرخة الأخيرة جمدت الفتى الطائر نحوها جريًا كأنما قدماهُ تحولتا في لحةٍ إلى قدمينِ من قرميد، وسكوتُها قذف قطرات الماء المجنون في أرجاء المكان لتطول ملابسه حارقة إياها في التَّوِّ. أمسكه سامح وكامل بقوةٍ لكبح جِماحِه وعويله الذي يهزُّ الجدران، حتى هدأ ووقَع على الأَرض مُرتعشًا، فجريت نحوه نادين لتمسك به، لافَّةً ذراعيها حوله من الخلف، ضامَّةً إياه إلى صدرها في حُنوٍّ ومُواساةٍ، دامعة بحرقة لتمتزج دموعهما معًا حزنًا وألمًا على مَن اختفت في حوضِ استحمامِها.

"اللعنة على ذلك المكان، إنه يعرفنا، يعرف الكثير.. يتغذى على ضعفنا ومخاوفنا، وضع لها ما يقتلها رعبًا أكثر من نصل على رقبتها"، تمتم بتلك الجملة وسط ارتعاشه وزمجرته؛ لقد خرج من موت ليشهد موتًا، موت حُبِّه القديم، حبًا انتهى في أزهى أوقاته واختفى لأسباب عديدة، ثم عاد في أغرب مُقابلة في فريق "ما ورائيات" اجتمع به مصادفة، لكن عودته فسيولوجية فقط، فالقلب ملأتْهُ الصداقة،واليوم اختفى.. اختفى تمامًا؛ صرعه رهبته، صرعه الأراكنوفوبيا (**Arachnophobia**). إحساسٌ عارمٌ بالغضب يخالجُه من كل شيء، يشعر بطاقة متجددة مدمرة بداخله تنبعث، امتزاج حياته التي اكتسبها منذ دقائق وفراق حياةٍ قديمةٍ أكسبتهُ حياةً يومًا ما .. يشعر أنه الملعون بينهما.

ساعده البستوني على النهوض، مادًا له يده المصابة نصب عينيه قائلًا :"تصلَّب مازنجر، هيا" نظر له الفتى برفق وقد بدأ جسدُه وكيانه في الاستكانة، وتمسك بيده المضمدة باليد الممدودة والتي ليست أفضل حالًا هي الأخرى، ليقف وعيناهُ ثابتتان من خلال حياته الجديدة إلى حياته القديمة التي أكلتها المياه الملعونة بحمضها مذيبة الجلد والعظم عن الحياة بها، نظره ظل ثابتًا برهةً ثم خرج

مع الباقين – الناجين حتى الآن – مُتكئًا على شريكه في الحياة الجديدة، قائده.

"مازنچر" ترنُّ الكلمة في أذنيه كتعويذة قديمة. مَرَّ زمان مذ أن ناداه أحدهم بذلك الاسم، اسمه الذي كان يستخدمه في استعراضاته ومطارداته، ماجد الذي عرفه يومًا، اسم صار صورة على ظهر سياراته فقط لا يتذكره سواه؛ هناك مَن يتذكره، مَن ينظر له بحنان أب حقيقي يلتمسه بروحه، أب يمد يده بأوراق كَادتْ تقضي عليهما، وأحيتهما في الوقت نفسه قائلًا: "لنكشفه ونهزمه".

سَحَبَ الأوراق من يد البروفيسور وجلس القرفصاء على الأرض، ليعلم مثله الجميع بدورهم، وبدأ يقرأ عليهم ما كُتب بلون أحمر دموي لم تبرد عنه الدماء:

"دعوتك فاستجبت الدعاء

لخلاصك لبيت النداء

عثرت على قدرك

عثرت أنا عليك

تعذرت عنك جنياتك

- حاربت لأجل بقائك

ابحث عن إشارات الفضاء

وهبتُك سِرّ البقاء" .

أربع ورقات لعينة كادت تودي بحياتهم، ليس منهم أي رجاء؛ ألقاها في عصبية، ووقف يدور حول نفسه مفكرًا مليًا بضعف القوة محاولًا تخطي غضبه الذي يُعميه، ثم صار يضرب برأسه ويده صائحًا: "ماذا ... ماذا تريد؟!" وتوقَّفَ فجأة شارِدَ الذّهن والنظر، وبدون أية مقدمات ركض إلى العلية وعاد في ثوانٍ حاملًا شمعدان الكف المشتعل – إلى الآن – واضعًا إياه على الأرض، مرتبًا الأوراق أمامه تحت حكم حاكمهم وجلس ينظر للجزء السفلي، ثم صاح مُحادثًا نفسَه: "غير مكتملة، غير مكتملة. (...) أين نبحث وأين ستكون نهاية القادم منّا! ألم تكتفِ منّا؟!".

لفت المشبكُ انتباهَ المصوِّرة فتسأله رغم شعورها بالغباء من السؤال وتوقيته: "أليس هذا هو المشبك الثمين الذي تحتفظ به أينما ذهبت؟" نظر له كامل ثم لها قائلًا: "أتمنى لو كان هو"، ثم رفع يده المصابة مع علامة

امتعاض على وجهه معاودًا حديثه: "هذا مشبك الابن الثمين". ابتسم في مرارة لامحًا السؤال -الذي تأخر- في عينيها، فأجابهم راويًا ما حدث بالأعلى؛ إعادة تذكُّر، ما حدث ذكّره بسؤالٍ لمح إجابته نوعًا ما من أحداثه "أين نبحث؟".

وقف دائرًا بنظره في المكان كما تدور الفكرة والسؤال في ذهنه متوقفًا عن الحكي، وعلى لسانه تتردد: "ابحث.. الفضاء .. ابحث .. الفضاء"، ثم توقف عن دورانه مديرًا ظهره لهم، وتحرَّكَ فمُه مُحادثًا الفراغ بصوتٍ مَسموعٍ: "أنوبيس .. إشارات الفضاء .. القصر حله في نفسه". تدور الفكرة في رأسه كدوامة تسحبه، ثم استدار مواجهًا لهم موجّهًا كلامه الذي أعاد ترتيبه لهم: "ليس كابالا، لنبحث في الأرقام، القصر مبني على الرقم ثلاثة عشر، هذا هو فضاؤه".

عمَّ سيبحثون؟ من أين يبدأ البحث؟ ماذا سيجمّع الرقم وما مدى ترابطه؟ الأسئلة والأفكار تدور بين الأذهان، فقاطع تدفقها سامح: "لننقسم في المكان، كُلٌّ يبحث في جزءٍ وجزئية، ونجتمع عند السُّلم"، أغبى فكرة، هكذا قالَ القائد الذي لوعته الفرقة وعيناه ثابتتان

على الباب المحطّم، ثم عاد ليقول: "سنفتش كلنا معًا جزءًا بجزئه، فنحن لا نبحث عما نعرف أو عن شيء ملموس، سنعبث معه كما يعبث معنا حتى نكتشف ما نحن بصددِه. سنبدأ من الصفر".

دائرتاه البنيتان تبرقان وسط سحابهما المغبَّر احمرارًا، تملؤهما لمعة النشوة والانتقام.

نظموا صفوفهم عند السلم، مازنجر يحمل مشعله الدموي بعد أن ضمدته له نادين التي بدأت تنزف مرة أخرى ثم أوصلت بطاريتها الإضافية بالكاميرا والشاحن، سامح يطمئن على أدواته التي تفتح له أي عقبة "طبيعية"، البروفيسور يتمسك جيدًا بالأوراق بين يديه، وبعقله فوق رأسه.

يهبطون الدرجات بثقة وتحدٍّ، مارين بأصدقائهم مرة أخرى، لكن بإصرار أكبر على الفوز الكاسح وعلى الانتقام الصريح لهم؛ تتفقد نادين كاميراتها الثابتة التي لا تعطي أية إشارات إيجابية، ووقفوا في نقطة تجمعهم لاستراحة قصيرة جمعوا ما ينقصهم، وداووا جراحَهم، ثم فتحوا بابَ القصر، باب البداية، وخرجوا حيث بدؤوا.

يقفون على شرفة الباب، يشاهدون الجمال المنعكس ليلًا تحت عباءة اليوم الحالكة، ذات اللآلئ البراقة في وهج نقي ويشتَمّون الريح الصحو المحمّل بالنقاء، رغم رائحة الموت التي تزكم أنوفهم وتعبئ أرواحهم، متعجبين من السكون والبراءة. يفكرون بما يبحثون عنه، عما سيبحثون، فالأجواء والضوء لا يتيحان سهولة البحث عن الإشارات .. عن المجهول.

هبطوا الدرجات متمسكين ببعضهم البعض إلى الحديقة حيث بدؤوا رحلتهم، وحيث تبدأ رحلة جديدة تمامًا. ينظرون للقصر بتمعُّن محاولين التقاط إي إشارة أو علامة تحت أضواء الكشافات لكن لا شيء، حتى الحديقة والبوابة ليس بهما شيء؛ اتجهوا حيث يقع الصبي المتحجِّر، آخذ الحب وليس واهبه، مارين بسيارتهم التي خبط عليها ماجد مكلمًا إياها: "ستعملين، سنذهب ومعنا الكل إلى ديارنا"، ثم قال للبقية: "لنبحثْ في الإسطبل، مادمنا سنبحث من البداية فلنبدأ بكل ثقب تركناه"؛ فكرة جيدة لكن ليست بسديدة الآن، فهم لم ينتهوا من الإطار الخارجي بعد، ووسط العتمة المبسوطة عليهم ستأكلهم المفاجآت .. صرخة قَدِمَتْ من الفتاة

اخترقت الكون وأوقعتها أرضًا؛ رأس كرم مسلط عليها ضوء الفلاش وعليها أعتى أمارات الخوف والغضب. احتوى ماجد الفتاة في صدره مخبئًا رأسها بها، ناظرًا في ألمٍ مُنفِّرٍ لجزء صديقه المفقود، ثم أقامها ورأسها مدفونٌ في صدره — ما زال — حتى عبروا جميعًا النافورة الملعونة حالها حال كل شيء بالمكان. إلى آخر الجزء الأيمن لا شيء، فداروا للمرة الأولى خلف القصر.

خلفه الروعة بذاتها تتجلّى - حتى - في الظلمة، يبعد عن ظهره بعشرة أمتار حديقة بارعة يحدُّها نفس الحصى المُرقَّط الذي يظهر في تلك الظلمة بحر خالص من العيون المحتشدة تشهد كل دبيب ووطأة قدم في صمتٍ مُريعٍ؛ حديقة هي في الأصل متاهة، متاهة لا تخطئها العين، مزخرفة بالألوان التي تضوي رغم الدكنة، لكن نور الكشافات والشمع ولهيب الدماء السرمدي تكشف الكثير، لدرجة أن سامح خلع نظارة الرؤية الليلية ليرى أوضح. الأشجار المورقة مصففة بعناية فائقة لمستطيلات تقف في شموخ، تتداخل في بعضها البعض بنظامٍ احترافي كما لو أنها بُنيت هكذا ولم تُزرَع أو تصَفَّف، مداخلها واضحة جليةً، وُضع على بداية توهتها حارسان لها،

جنديان من العصور الوسطى مقصوصان بدقة لا مثيل لها، تكاد ترى ثنايا دروعهما وبذّاهما فيها، أحدهما يحمل درعًا والآخر يحمل سيفًا.

سلوكُ المتاهة الضخمة يبدو دربًا من الخبال في ذلك الوقت، لكن ذلك هو الفضاء وتيهته ذاها؛ وقفوا ينتظرون إشارة القائد أو قراره، ففتح فاه أخيرًا:

"لنرجئها فيما بعد، لنمعن البحث فيما نرى أو سنرى أوّلا"، ثم أكملوا دورهم حول القصر مارّين بالنافذة التي تنظر منها أرواح أصدقائهم. وقفوا عند الباب يفكرونَ في صمتٍ حول الخطوة القادمة: هل سنظلُّ بالخارج أم سنقوم الدُخول والبحث؟ تكلم سامح الذي يريد تفكيره الخروج عن حدود صمته: "دعونا نَدُر مرةً أخرى، لنفعل كل ما بوسعنا هنا قبل الدخول"، نظروا لبعضهم البعض والإجابات تتحرك في صمتهم دائرة بينهم، لتنطبع الإجابة بالموافقة في أعينهم. تجمّعوا ثانية وبدؤوا هذه المرة من حيثُ عادوا، يتفقدون الممرَّ والقصر والأسوار نفسها، حتى عادوا للمتاهة ينظرون إليها وإلى القصر، لكن شيئًا لا يوجد كالعادة، خياراهم هنا تنحصر في متاهة الشيطان تلك التي يقف أمامها سامح مبهورًا،

لحظة كادوا يدخلونها لكنهم قرروا استكمال دورتهم بعدما رأوا تأثيرها على صديقهم، فكفى ما سُحب وسُحر منهم.

أوقف أرجلهم المتحركة بثقل هتاف أثقلها أكثر، نادين تناديهم للعودة وعيناها تلمعان بالإجابة من نور مصباحها المسلط لأعلى ناحية الدور الثاني من القصر.

"قلت مسبقًا إن عدد النوافذ بكل وجهة ثلاث عشر، الخلفية تقول غير ذلك"، قالتها محادثة القائد الذي يقف ثابت البصر يتفحص بعناية، الجزء الذي لم يتفقده للتأكد من ألاعيب القصر.

اثنا عشر ينقصها واحدٌ حيثُ يثبت الضوء، وسط الدور الثاني بالضبط؛ نظَر للمتاهة خلفه في البقعة الصحيحة، أخذ الكاميرا من نادين، ووقف في بقعته مثبتًا الضوء على الشرفة الخفية، ثم أدار الضوء لخلفه مستقيمًا، ليجده في المنتصف بالضبط، منتصف بُعد الجنديين عن بعضهما بعضًا؛ الحلُّ يكمن هنا، يكمن في قلب المتاهة النابضة أو في قلب الغرفة الصماء المصمتة، الحل يكمن في الفضاء.

"لنبدأ بالفضاء!" قالها القائد ثابت البصيرة على النافذة غير الموجودة.

عادوا إلى القصر مرة أخرى صاعدين الدرجات الدرجة تلو الأخرى، مسرعين نحو مقصدِهم ووجهتهم المحددة، باحثين عن الغرفة المنشودة بالدور الثاني في جزئه الخلفي، لكن بلا جدوى؛ حائط فارغ وسط غرفتين في البقعة التي حددوها، لا يوجد أمامه أو خلفه أي شيء يُذكر أو غريب عن المألوف، هذا هو الغريبُ عن المألوف ذاته، فلا يوجد بالمكان كله حائطٌ يُشعِرُ بالوحدة والفراغ كهذا القطاع. خواء في الردهة لا يتخلله شيئًا أو يشذُّ عن مألوفِه، الغرفتان على الجانبين غرفتا نوم رئيسيتان ولا وجود لممرات سرية منهما أو دليل على الرقم الملعون بهما، حتى أنه لا يوجد جمالٌ ليتتبعوه في ذلك القطاع؛ الديكورات، اللوح، التماثيل، الأواني، الـــ... خبطته الفكرة بشدة فكاد رأسه ينقلب.

"الساعات!" هرع وحده إلى كلا الغرفتين كالمجنون، وعاد مذهولًا من أفكارِه وما رأى؛ ساعة.. ساعة حائط أثرية من الخشب مطعّمة بعاج خالص ومكسور اللؤلؤ، يقع منها اثنتان بكل غرفة من الجانبين

معلقتان على الجدار الواقع على حدود الغرفة المخبأة، ساعتان متطابقتان، الساعتان الوحيدتان في المكان بأسره واللتان - بالطبع - لا تعملان. الأرقام والعقارب، كذلك البندول من الذهب الصافي؛ الأرقام لاتينية لامعة إلا منتصفها الأعلى، رقمه مُطفأ، يمكنك رؤيته بكل وضوح على ضوء الشمعدان الذي يقبض عليه.. XIII، الساعة الثالثة عشرة، هذا هو، هو مدخل الغرفة رقم ثلاثة عشر.

كيف ستنفتح؟ سؤال يجوب أذهان الواقفين في حيرة من أمرهم، يدركون جزءاً من الحلّ، لكنَّ تكملته ما يستعصي عليهم، الحلُّ بيد البروفيسور الذي يجمّع أوصاله، الحل لدى مَن عاصر تلك الأشياء العتيقة الفخمة وطريقة عملها، بعيدًا عن الأرقام التي تظهر على شاشة أو صورة تطفو أو كلمةٍ مُبهمةٍ مُزعجةٍ تستقبلك ببرودِها العصري 'كوارتز'.

معضلته في حله هي كيفية التنفيذ، فهو وماجد عقبة بعلَّتِهما، ولن يستطيع إدارة التناغم والسرعة بين الاثنين البَاقيين ليفعلاها معًا، لذا سيلجأ لحل آخر، لمقامرة يأمل نجاحها، إن فشلت لا، فلا أحد يدري إلا واحدٌ كيف ستكون عواقبها.

شرع في شرح خطتهم بعد صمت كاد يلتهم الأعصاب، داعيًا نجاح ما يظنه!

الاثنان السالمان هما مَن سيقودان العملية، لذا تخلصت نادين من كاميراتها ووقفت تحت الساعة في انتظار رافعتها؛ حملها سامح بكل قوته رافعًا إياها قدر ما استطاع حتى صارت في مستوى يسمح لها بفتح باب الساعة، متّبعة إرشادات كاملْ. تبحث بيدها عن مفتاح يختفي في قلب الخشب متخبطة بالبندول الذي يهتزُّ مصدرًا رنينه المميز، إلى أن وجدته أخيرًا؛ مفتاح على هيئة زهرة أوركيد له سِنٌّ مستوٍ مُفرَّغ قلبه دائريًّا من قمته، حتى الآن الأمور تسير كما خَططَ لها، يبقى رَدُّ فعل عمله. ينظر للقرص الصدفي الذي يحمل الأرقام المذهبة، والتجويفين الدائريين عليه بجانب الرقمين ثلاثة وتسعة، ثم نظر للخارج حيث يرى المتاهة بعقله محادثًا نفسه: "تلك الغرفة تأتي من منظور الحُراس"، ثم شغَّل الكاميرا ليرى ما يدور بذهنه تأكيدًا له "تلك الغرفة هي اليسرى للحارس الأيمن ودرعه كذلك، ضعي المفتاح بالفتحة اليسرى". لم تنطق أو تناقش، وضعت المفتاح في فراغه المخصص عن اليسار وأدارته ليُسمَعَ الطنين

المألوف للزمبرك حتى اكتمل ملفه، ثم بإصبعها راحت تحرك عقرب العقارب الذي يدور ومعه تلقائيًا عقرب الساعات حتى وقفت عند الساعة الثالثة عشرة، وبدفعة رقيقة للبندول بدأت الحياة تدبُّ في الساعة ليصدر عنها صوت طنان بعدد الساعات؛ كل دقة تدق قلوبهم معها بقوة أكبر من سابقتها، حتى توقفت عند الدقة الثانية عشر، اثنتا عشرة فقط كأي ساعة طبيعية. لم يبدوا بالاً - الآن على الأقل - وأسرعوا إلى الغرفة الأخرى يكررون الحدث ذاته مع وضع المفتاح في التجويف الأيمن، لف العقارب، رنة البندول، الطنان و.. الدقة الثانية عشر.

وقفوا أمام الجدار في الردهة منتظرين أية إجابة، متأهبين لما قد يظهر أو يحدث غفلة، لا شيء، لا شيء بعد مرور دقيقتين على الوضع الثابت، يشعرون بالإهانة والإحباط ونفاد الحلول، الإجابة ما زالت ذاتها لا شيء، بدؤوا في النظر إلى بعضهم البعض و...دقة عالية عميقة صدرت مع دقة الدقيقة الثالثة، دقة قوتها جمدت الدماء في عروقهم، حتى هرب منهم لرؤيتهم - من الخارج متفرقين على الجانبين - الساعتان تدوران في نفس

الوقت والإيقاع عقربهما الأكبر دورة كاملة فصدرت صوت هزة كونية من الجدار جعلته ينسحب بوصتين للخلف، ثم تبعه عقرب الدقائق بدوره بدورة كاملة، ليلتحم الاثنان فوق بعضهما البعض ويهتزَّ الجدارُ أمامهم مصدرًا أبشع خوار، منحصرًا في تؤدة وثبات إلى اليسار صادرًا عن انفتاحه زفيرًا قاسيًا معبأً بغبارٍ أبيض يحجب الرؤية.

العتمة البيضاء تنقشع تدريجيًّا عن المكان ليظهر ملامح مشوشة بالبَياض حتى انقشع الغبار تمامًا، وبقيت أيقونة من الجمال والعجب أمام ناظرهم؛ لون غريب من درجات الأبيض كأنه حليب الجنة يضوي في عتمة الكون، ومنضدة تتوسط فراغها، من نفس تصميم تلك التي كانت في العلّية، لكنها أكبر وأعرض تكاد تلتهم الغرفة بمساحتها، متراص عليها قطع من الدومينو بشكل مُنمَّقٍ للغاية وأبعاد متساوية، تشعرك بتأثير الدومينو الخلّاب.

دخلوا تباعًا يتحركون في حذرٍ بالِغٍ؛ ما إن بلغوا منتصف الغرفة، سرت نسمة خفيفة داعبت نيران الشموع، نسمة خفة ريحها لذيذ بشكل مقلق، مقلقة حد الفزع لسريانها

في غرفة بلا فتحات أو نوافذ، كأنما الغرفة تتنسم الصعداء لفتحها – أخيرًا –، لفكِّ حصارها عنها وعزلها. وقفوا ذهولًا أمام روعة البساطة، روعة اللون وتناغم الألوان الكاسرة له من المنضدة وما فوقها من قطع الدومينو العاجية الرقراقة البراقة التي تقف بكل ثقة منتظرة هفوة نسيم أخرى لتتهاوى فوق بعضها البعض كاشفة عن سِرِّها وسحر تأثير تهاويها.

يدورون بنظرهم في المكان وبأجسادهم حول الطاولة، مع حفظ مسافة مناسبة لعدم التعرض لها حتى لا يقع ما لا يعلمون وما لا يُحمد عُقباهُ قبل التحقق من سلامها وسلميتها؛ يبحثون في طوافهم عن بقية قدر الأقدار التي يجب إن تكون مُخبأة هنا في مكان ما من الخلاء الذي تملؤه قاعدة الدومينو، تلك القاعدة الأكثر ريبة بالمكان كله.

"لا يمكن أن يكون كل ما سبق ذهب سُدًى .. غير معقول" قالها سامح الذي يشعر بالدوار من الحيرة والخواء وخيبة الأمل، رَدَّ عليه ماجد محاولًا طمأنتَه: "غير المعقول هو معقول هذا القصر، لقد وجدتُه بعد بحثٍ مُضنٍ مخترقًا عددًا لا بأس به من الأقمار الصناعية،

وعرفنا به من حديث سكارى في خمّارة. لقد خضنا معًا ما لم يُسمع عنه وتعارُفنا وتجمعنا نفسه لا معقول"، فأكملت نادين حديثه: "غير المعقول هو عدم وجود أية ملامح للا معقول هنا". وقف كامل مُغمغمًا بكلمة غير مفهومة، قاطعها ماجد بهتاف مفاجئ مثبتًا نظره إلى الطاولة. يتحسس بيده السليمة الطاولة، تحديدًا في الفراغ الواقع أمام بداية قطع الدومينو، تجويف دقيق يظهر للفاحص والمدقق، تجويف ليس له ملامح أو ينمُّ عن شكل معين، تجويف الجزء المفقود من الأحجية؛ أهي بداية رحلة جديدة تنتظرهم للبحث عن الجزء المفقود؟ ألذلك ما زال الباب مفتوحًا من تلقاء نفسه، كالعادة ينتظر هتك عرض عقولهم بالإجابة وهو يحبسهم؟ أم الحلُّ قابع هناك في الجزء الخفي من الغرفة؟

الأسئلة تحلق في سمائهم جميعًا إلى أن وقع على ماجد الحلُّ بغتة، الحل يقبع بين يديه، الإجابة يحملها كما تحمل هي جزءًا من روحه ومشبّعة بدمائه، مُحمّلة بروحين ودماء مختلطة وممتزجة. وقف بيد ثابتة يُقرب شمعدانه برفق من الطاولة حتى لا يلمس توتره قطع الدومينو و... هي! تَطابُق مثاليٌّ بين قاعدة الشمعدان والتجويف ..

قطعة الدومينو تتخلخل خُفيةً فتوقف لثوانٍ حتى قررت الثبات مكانها .. بثبات وعزم أكثر ضغط، فانغمست القاعدة في قاعدتها مستكينةً فترةً بلا حراكٍ أو مفعول؛ مرت ثوانٍ بدت دهرًا من الانتظار مع الشمعدان الراسخ بلا حراكٍ، وظلُّ اللّهب الواقع من خلال اليد مجوفة التصميم راسمًا عن جانبيها جنديين من العصور الوسطى، وفي لمحة بصر استعر اللّهبُ وجُنَّ جُنونُه، دفع الجميع للخلف بضع خطوات هاربين مما هو قادمٌ، أو قد يقدُم. اللون الأحمر يدور في الشموع بجنون، سُحُب الدماء مستعرة بالداخل، الدماء تنسال بين تجويفات الكَفِّ إلى تشابُك مُعقد هابطة إلى القاعدة التي تمتصُّها في نهمٍ.. السحابةً الدموية تدور كإعصار في محبسها حتى استحال لونُها إلى الورديِّ و... صفوة مفاجئة حلت بالشموع بانقشاع السحب وعودة لونها إلى طبيعته الشمعية، والنيران تتراقص هادئة على فتيلها. لحظة سكون – أخرى – تلَت العاصفة وصوتُ معدن مندفع في مجراه دوى، أطلق صرخة لا إرادية من الفتاة التي ترى بوضوح ذلك الجزء المنبثق من أسفل حد الطاولة؛ درج رقيق

يحمل أوراقًا فوقه، أوراق يعرفُها بمجرد النظر كل من يقف في تلك الغرفة.

غمغم كامل بصوت عالٍ هذه المرة، مبتسمًا بملء فيه، مُوجهًا بصره ناحيةً الباب السري المسحور بالساعات عن جانبيه، المفتوح إلى الآن؛ بصره معلق على تلك الجملة اللاتينية المنقوشة بحروف من ذهب في إطار آسيوي الطراز، المتعلقة – مندمجة – بالحائط فوق إطار البوابة العلوي، إن صح اعتبار تسميته بإطار لبوابة فعلية من الأساس..

" Longissimus Dies Cito Conditur "

قالها واضحة هذه المرة وعلى شفتيه ابتسامة يعنيها، ثم سحب الأوراق من مخدعها؛ ثلاث ورقات هذه المرة، ثلاث ورقات مختلطة بدمائه وروحه، تحمل على جزئها السفلي قطع (البازل) ذاتها. جمع الأوراق بنظام خلف بعضها –قبل قراءة أي شيء– تحت حكم الحاكم، لتظهر الصورة كاملة هذه المرة، اكتمل الرمز، أعلن الشعار عن نفسه، اكتمل قدر الأقدار.

وقفوا يرددون كتابهم في صوتٍ واحد، صوت غطّى على صوت دائرة معدنية تتأهب

"كـــــتـــابـــي

قـــــدر الأقـــــدار

مرحبًا في

قدر الأقدار

ملاذ الفار وهلاك الاستعمار

أتيتَ على عجل فأقيمُك على وجل

أقمتَ هنا الساعة مقتحمًا الواحة

فلتتنعم بالراحة فوق النار الملتاعة

دعوتُك فاستجبت الدعاء

لخلاصك لبيتَ النِّداء

عثرت على قدرك

عثرت أنا عليك

تعذرت عنك جنياتك

حاربت لأجل بقائك

ابحث عن إشارات الفضاء

وهبتك سِرَّ البقاء

افتح عينيك للنقاء

ستخلد معي في الفضاء

لنرقص في الخواء

اليوم الطويل لا بد له من الانتهاء

فلتتساقط حباتُك''

ماذا؟! كلمة لم تُنطق بعد احتبسها سرعة ومفاجأة الحدث، فما إن انتهوا من ترديد ما كُتب بأوجاعهم وآلامهم حتى وجدوا الباب ينسحب منغلقًا في إيقاع أسرع من فتحه؛ سيُحبسون مكانهم..

● ● ● ●

الساعة تدق الثانية عشرة فينفتح الباب من تلقاء نفسه، ليدخل كائن مُبهم الملامح كأنه الضباب بذاته؛ يتوجَّه إلى الطاولة الموضوعة منتصف الغرفة، مخرجًا صندوقًا خشبيًّا فرعوني الطراز، قوطي النقش والزخرفة، يتوسطُ كيانه شعار القصر ورمز أصحابه.

يفتح الصندوق كاشفًا عن قطع دومينو عاجية رقراقة براقة مقلوبة، يمد يدَه ليأخذ قطعته ويضعها بحرص وعناية على الطاولة، ليتوالى الرصُّ مدة ساعة منقوصة دقيقة، فيُغلق صندوقه ويتهادى خارجًا...

● ● ● ●

الصوت الذي أغفله أثناء قراءته رنَّ في عقله، مع تخيلاته التي يراها ذهنه مع صورة الجدار الذي ينسحب بعد مرور الساعة الثالثة عشرة؛ قاطع شروده ماجد الذي يبدو عليه الشطوط وانعدام التوازن، والذي تدفعه غريزته نحو المنضدة، ليمسك الشمعدان وبلا تفكيرٍ أو حرصٍ، سحبه في عجل خالعًا إياه بضراوةٍ من موقعه ثم أخَذَ خطوتين للأمام وقفز طائرًا، متناسيًا الطاولة وما عليها من بيادق القصر.

الورقة الأولى من الدومينو تهتزُّ وحدها مُتراقصةً على أنغام الفوضى .. مازنچر يطير في الهواء فاردًا ذراعه المصابة أقصاها مع الشمعدان في قبضته .. القطعة صرعها الرقص لتهوى على مثيلتها .. القصر بدأ في الارتجاج بعنفٍ .. الباب يدنو من الانغلاق .. الفتى يتخلخل في

الهواء على إثر الرجة لكنه وبإصرار فَرَدَ أصابعه قاذفًا كَفَّ القدر.

قطع الدومينو تتهاوى تِباعًا في متسلسلتها .. المكان يتزلزل بقوة وعنفٍ أكثر من أي مرة سابقة .. الفتى يهبط بقوةٍ على أرضية الغرفة .. الشمعدان يتدحرج على الأرض متوجهًا للجدار .. الفريق يحاولُ التماسُكَ والتشبُّثَ بركيزتِه .. توقَّفَ الجِدارُ في غضبٍ لوقوف القدر حائلًا بينه وبين الجدار ليعتصراه بينهما..الجدران تتشقق، الحجارة تتساقط من هولِ الزلزلة، الدومينو ينقلبُ على بعضه البعض أسرع، وهم يحاولون التماسُكَ والوقوفَ ثابتين رغم الخلخلة التي تحدث لهم وإقامة صديقهم مع مصارعة الباب الذي يصارِعُ لينغلق ويصارِعهم حتى لا ينفتحَ.

قطع الدومينو تتهاوى مسرعة جريًا في إيقاعها، محدثة تأثيرها الفاتن. صورة منظمة ومنمقة تنكشفُ لك بطيئًا في سُرعتِها بسبب حجمها الهائل ودقة تقاربها ووضعيتها، مع ثباتها رغم الزلزلة الرهيبة التي يتهاوى على إثرها المكان ويتصدع القصر من شِدَّتِها..

القصر يتداعى، زلزلته تَهُزُّ أجسادَ مَن فُقدوا بلا هوية على الثلج المجروف، تُزلزل وتخلخل الشمعدان والمحاولين الهرب، تموُّجُ مياه حمضية حارقة تسبحُ بين طياها ذرات فتاة عاشقة، وترجُفُ كفّاً حبيبها الملقتان على العشب مع رأسه الذي يتدحرج من فرط الزلزلة هاربة من كيوبيد الذي يصارع عدم الهبوط عن جبله والذي تتدفق من كنفه سهام دقيقة تغطي عتمة الليل ببريقها و...

دومينو القصر الملعون تقبع ساكنة فوق طاولتها، تكشف سرِّها، كاشفة عن صورها الجمالية للقصر ذاته على هيئة متاهته؛ قطعة واحدة متبقية، تتراقص في ملكوها دائرة في فلكها من خلال الحجارة المتهاوية حولها والناس المحاولون الفرار من مصيرهم وحتفهم، يلمع عليها الرقم XIII ، تشاهد من خلال قصرها العاجي، ناظرة في راحة وهي تصارع السقوط مرددة في غفلة من الذاكرة:

"Longissimus Dies Cito Conditur"

اليوم الأطول قريبًا ينتهي.

عن الكاتب

- صدر له رواية "أبواب" عن دار اكتب للنشر والتوزيع (2011)
- الطبعة الثانية من رواية "أبواب" عن دار اكتب للنشر والتوزيع (2013)
- محرر في باب الأدب بمجلة كلمتنا
- محرر بمجلة اعدلها
- شارك في "كتاب رعب" – ملحق (سلسلة كوكتيل اكتب) العدد الثاني– بقصة "كنّا أربعة"
- سلسلة الغموض

العدد الأول " الشيطان يعشق

العدد الثاني نـــفَس

للتواصل مع الكاتب

◦www.facebook.com/anwar.hani

◦ anwar.abwaab@hotmail.com

صفحة السلسلة على الـ **Facebook**:

◦

www.facebook.com/The.Mysteria

غموض MYSTERIA

●صدر من هذه السلسلة●

1- الشيطان يعشق

2- نفس

3- دومينو القصر الملعون